١٩٦

HARLEQUIN

روايات احلام

مطلوبة.. مدى الحياة

سارة كريشن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

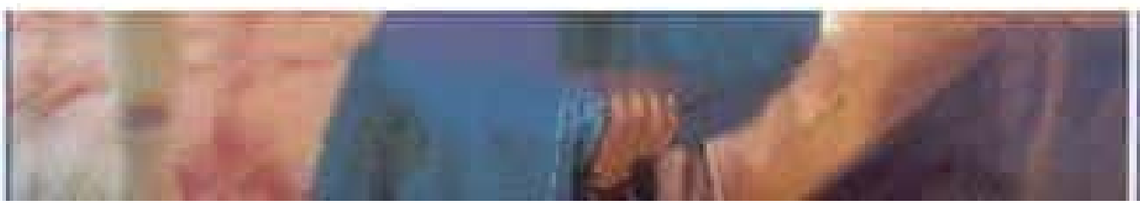

Scanné avec CamScanner

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية
زوروا { مكتبة رواية }
www.riwaya.ga

Scanné avec CamScanner

فراشة المحبة

مطلوبة.. مدى الحياة

عزيزي بابا نويل،

لن أختار هدية هذه السنة... سأطلب منك مربية جديدة... أرجوك أن ترسل لي واحدة...

أريدها أن تجيد قراءة القصص، واللعب، وأن تكون لطيفة مع دبّي الصغير... ومع أبي أيضاً...

كنت أريد أن أطلب ماما، لكن بابا يقول إنها لن تعود... وهو يبذل جهداً ليأتيني بواحدة جديدة... لكنني لا أستطيع الانتظار... عليّ أن أحصل على مربية ترعاني إلى أن يجد لي أماً.

مع حبي
تارا

www.rewity.com

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	الإمارات: ١٠ دراهم	مصر: ٥ جنيه	ليبيا
سوريا: ٧٥ ل.س	قطر: ١٠ دراهم	المغرب: ١٥ درهم	اليمن
الأردن: ١,٥٠ دينار	البحرين: ١ دينار	تونس: ٢ دينار	السودان
الكويت: ٧٥٠ فلس	السعودية: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال	العراق

Scanné avec CamScanner

LOVE_Shades

١ ـ سيد الظلام

دفعت لاين باب المطبخ المتحرك بكتفها وهي تحمل صينية من الأواني المتسخة، وقالت:

ـ لقد عادت زبونتك المفضلة.

رفعت فويبي نظرها مقطبة: «تلك الفتاة الصغيرة مرة أخرى؟».

بدأت لاين بتعبئة آلة غسل الصحون بخبرة:

ـ كعادتها.. أمر غريب.. أليس كذلك؟

ازداد استياء فويبي وقالت بقسوة:

ـ أظن أنّ هذا يعكس انعدام الاحساس بالمسؤولية.. إنها أصغر بكثير من أن تتجول في الشوارع وحيدة.. وهي لم تتجاوز السابعة من عمرها.

قالت لاين: «إنها آمنة تماماً هنا.. فمقهى كلوفر ليس ملتقى للخاطفين أو المنحرفين».

قالت فويبي متجهمة: «على حدٍّ علمنا..».

ملأت كوب حليب ووضعته على صينيتها إلى جانب إبريق الشاي ووعاء السكر والسندويشات.

حملت الصينية وأرسلت نظرة نحو الطاولة التي تجلس إليها الصغيرة في الزاوية قرب النافذة.

كانت الطفلة تأتي إلى هنا منذ ثلاثة أيام، في الوقت نفسه من بعد الظهر.. في المرّة الأولى، افترضت فويبي أنها تنتظر أحداً من الكبار لينضم

Scanné avec CamScanner

إليها، بدلاً من هذا طلبت الصغيرة قائمة الطعام.

فاقترحت فويبي عليها: «أترغبين في أن أقول لك ماذا نقدّم؟».

رمقتها الفتاة بنظرة مؤنبة. وأجابتها بنبرة واضحة تعبرّ عن ثقة عالية بالنفس: «أستطيع القراءة بنفسي.. شكراً لك».

ثم طلبت كعكة بالزبيب وكوباً من الشوكولا. لكن فويبي ترددت.

ـ ألا تفضلين انتظار بقية عائلتك؟ طعامنا غالي الثمن...

ازداد الازدراء حدّة في عيني الفتاة التي علا الغضب وجهها: «أستطيع أن أدفع».

ومدت يدها إلى حقيبتها لتخرج ورقة نقدية بخمس جنيهات:

ـ هل تكفي هذه؟

ردت فويبي: «بل أكثر من كافية».

وذهبت لتحضر الطلب.

عند انتهاء الوجبة، دفعت الفتاة الصغيرة الحساب وهي مقطبّة الوجه. ووضعت «بقشيشاً»، وغادرت المكان.

هذه المرة، طلبت الفتاة حليباً ساخناً مع العسل وجوز الطيب وبعض البسكويت.

قالت فويبي معلقة: «لقد أصبحت زبونة دائمة.. لكنّنا لا نعرف اسمك عكس معظم زبائننا».

ساد صمت قصير.. ثم قالت الفتاة بلهجة مشكّكة:

ـ ليس من المفترض أن أكلم الغرباء.

ـ أنت على حق تام. لكنني لا أكاد أكون غريبة. أولاً أنا أطعمك كل يوم، وثانياً، اسمي مطبوع على قميصي.. لذا..؟

وصمتت تنظر مترقبة.

ساد صمت آخر، ثم قالت الفتاة: أنا تارا فان.

ـ اسم جميل.. هل تعيشين في «وست كومب»؟

هزّت الصغيرة رأسها بصرامة وقالت: «أعيش في «فيتون ماغنا»».

صمتت فويبي لحظة وقد بدأ قلبها يخفق بشدة. ثمّ حدّثت نفسها أنه مجرد اسم لمكان.. ما حدث، كان منذ ست سنوات. ولا علاقة لها بهذا الآن.

قالت ببطء: «هكذا إذن.. إذن، لديك رحلة طويلة تقومين بها إلى البيت».

حدجتها تارا بنظرة مترفعة:

ـ إنها مجرد خمسة عشر ميلاً.. ولا تستغرق وقتاً طويلاً في السيارة.

هدأت فويبي وقالت:

ـ آه.. أنت إذن تعودين إلى البيت مع «مامي»؟.

ورأت الظهر الصغير يتصلب:

ـ ليس لدي «مامي».. لم يعد لي.

أوه.. يا إلهي.. وتأوهت فويبي ثم قالت ببطء:

ـ أنا آسفة جداً تارا.. وهذا.. شيء مشترك بيننا.

نظرت إليها تارا باهتمام: «أنتِ تعيشين إذن، مع أبيك أيضاً؟»

عضت فويبي شفتها، وقد اعتصرها ألم أحسّت به منذ وقت ليس ببعيد.

ـ لا.. لا أعيش مع أبي.

ـ أعتقد أنه سافر في عمل.. «دادي» مسافر طوال الوقت.. لذلك لدي سندي لتعتني بي.

أوه.. حقاً.. إنها لا تقوم إذن بعملها كما يجب!

ثم قالت بلطف وبصوت مرتفع:

ـ أخالنا نحتاج إلى شخص آخر تارا، ويسعدني أننا التقينا.. نستطيع الآن أن نقول مرحباً إن التقينا في الشارع.

احتست تارا قليلاً من الحليب:

ـ أنا لا أتجوّل في الشوارع كثيراً.. فحين أخرج من المدرسة، أذهب إلى دروس البيانو، ثم آتي إلى هنا لأنتظر سندي.

سألت لاين متسلية حين عادت فويبي إلى المطبخ:

ـ هل عرفت كل ما كان يشغل بالك؟

Scanné avec CamScanner

ـ بل عرفت الكثير . . أمها ميتة، ووالدها منشغل عنها غالباً . . . وهناك فتاة تُدعى سندي تملأ مكانه حين تدعو الحاجة .

ـ سندي . . إنَّ فتاة تدعى سندي كانت في نادي عصافير الليل يوم السبت الماضي . . وكان الناس يقولون إنهم لم يروها هناك من قبل .

ـ كيف كان شكلها؟

هزت لاين كتفيها .

ـ أوسترالية، شقراء وطويلة، ذات ساقين لا نهاية لهما، صوتها قويّ، وتبدو غريبة عن الفتيات الأخريات . .

ـ لكنها لا تبدو الشخص المثالي للعناية بتارا .

وضعت لاين يديها على وركيها : « بحقّ السماء فويبي . . . تمهَّلي قليلاً . . أليس لديك ما يكفيك من مشاكل؟» .

وافقت فويبي بحدة : «بل أكثر مما يكفي . . لكن هذا لا يمنعني من الاكتراث بما يجري في حياة الناس الآخرين» .

هزت لاين رأسها : « إذن يجب أن لا تكترثي ولو لمرة واحدة . . اسمعي . . هذه الطفلة تأكل جيداً وترتدي ملابس أنيقة . . كل ثيابها من محلات «سمارتي بانتس» في «ماركت ستريت» حيث تعمل شقيقتي . . وهي تمضي يوماً مفعماً بالنشاط . . وهذا ما يفوق بكثير ما كان متوفراً لي وأنا في مثل سنها . . وأقول جازمة إنها بألف خير» .

قالت فويبي بلهجة جافة : «وهل هذا كل شيء؟» .

ـ أكان هذا كل شيء أم لا . . فلا سبب يدعوك لأن تتورطي . . ابدئي بالتفكير بنفسك بدلاً من هذا . . ففي أيّ لحظة الآن ستعود ديبي إلى العمل، وستفقدين أنتِ عملك .

ـ لا أحتاج إلى من يذكرني . فقد كنت أعرفُ هذا حين قبلت بالوظيفة . إنها مؤقتة، إلى أن تستعيد ديبي عافيتها .

ـ كيف حال مالك المنزل السيء الطباع؟ أما زال يعاملك بسوء؟

كشرت فويبي وكأنها تتألم :

ـ كالعادة . . . فهو لم يصلح حتى الآن القرميد الذي وقع الشهر الماضي . . . وهناك الآن بقعة كبيرة في السقف تتسرَّب منها المياه .

ـ ألا زال يدخل خلسة إلى منزلك حين تخرجين؟

ـ أنا متأكدة من هذا . لكنني لا أستطيع الإثبات، وإن ضبطته فسيقول إن له الحق في تفحص البيت في أي وقت حسب شروط الإيجار اللتنة .

هزت لاين رأسها .

ـ يمكنك بالتأكيد إيجاد مكان آخر؟

ـ ليس قبل أن أجد عملاً حقيقياً يتناسب مع المكان الآخر . . والمشكلة أنَّ الوظائف في المكتبات لم تعد متوفرة بكثرة، حتى الآن قدمت ثلاثة طلبات، وأجريت مقابلة غير ناجحة . يجب أن أتدرب ربما على عمل آخر .

ـ تستطيعين دائماً امتهان التعليم . . ولا بد أنك تحسنين معاملة الأولاد . فالناس يطلبون منك دائماً أن تكوني جليسة لأطفالهم .

قالت فويبي بحدة :

ـ هذا لا يعني شيئاً بالضرورة . على أي حال، إنها فكرة . . لكنّي . . لم أخطط لها حين دخلت الجامعة .

رفعت لاين عينيها وأجالتهما في المطبخ، وقالت ساخرة :

ـ وهذا ما خططت له؟ على فكرة، أعتقد أن زبونتك مستعدة للمغادرة .

لم يكن الفضول وحده ما دفع فويبي إلى اللحاق بالطفلة إلى الخارج حيث كان الجو المكفهر كثيفاً في بعد ظهر يوم من أيام شهر تشرين الثاني، فمن الخطأ أن تسير تارا وحدها في الشارع في مثل هذه السن، وفي هذا الوقت من السنة بشكل خاص . . كان الجو قد غشيه الضباب وأمسك البرد بخناق فويبي وهي تراقب الفتاة الصغيرة تسير في الشارع .

وبشكل مفاجىء، ظهرت دراجة نارية من خلف زاوية الشارع لتدخل شارع «هايّ» وتتوقف بعنف . . كادت فويبي تختنق . . وأوشكت أن تركض، حين رأت جسد امرأة طويلة، ينتصب وقوفاً عن المقعد خلف السائق، ملوِّحة للصغيرة بعفوية . لمع شعرها الأشقر حين نزعت الخوذة عن

www.rewity.com

Scanné avec CamScanner

رأسها وأعطتها لسائق الدراجة.

أظنّ أنها سندي.. وأحست فويبي بالارتياح! ارتياح يخلو من السعادة، هذا ما تفعله سندي إذن بينما تتجول الطفلة المسؤولة عنها بحريّة!

وقفت المرأة الطويلة تتحدث إلى سائق الدراجة للحظة أو إثنتين، ثم ابتعدت. والتقت مع تارا عند زاوية الشارع واختفتا عن الأنظار.

حدّثت فويبي نفسها.. حسن جداً.. لا بأس.. وتمنت لو تشعر برضى أكبر.

كان منزلها الصغير بارداً جداً حين دخلته بعد بضع ساعات.. وارتجف النور وهي تضيئه في غرفة الجلوس، وكاد ينطفىء، ثم استعاد قوته.

عظيم.. لا أظن أنني أمتلك «لمبة» إضافية! إلا إذا كان السبب طبعاً، التمديدات الكهربائية، وهذا قد يعني مقابلة أخرى غير مرضية مع صاحب الملك.

وقررت فويبي متعبة: سأهتم بهذا غداً.

لم تكن الغرفة مريحة جداً.. والسجادة المربعة الرخيصة لا تتناسب مع الأريكة بقوائمها الخشبية. لكنها كانت قد أشعلت ناراً في الموقد الضيق القديم الطراز قبل أن تغادر إلى العمل ذلك الصباح، ومتى أشعلت النار مرة أخرى وأقفلت الستائر، فسوف تحصل على جوّ دافىء حميم.

تصورت فويبي، كالعادة، أنها تمتلك هنا بعض الأشياء التي كانت في منزل أهلها، كالخزانة المصنوعة من خشب الورد، والطاولة الصغيرة إلى جانبها، والمقعد المجنح من مكتبة والدها. لكن هذه الأشياء، مثلها مثل المنزل ذاته، قد ذهبت، بيعت لدفع ديون لم تكن تتوقعها.

استطاعت سماع صوت عمتها لورنا المرير يقول: «لا أستطيع أن أصدق أنك غبي هكذا هوارد.. سوق الأسهم.. ما الذي تملكك حقاً لتفعل هذا؟» ورد والدها بصوت هادىء: «أعتقد أنني كنت طماعاً، شأني في ذلك شأن عدد كبير من الناس عزيزتي، لم يخطر لأحدٍ منا قطّ أنّ الأمور ستسير على هذا النحو».

وردت شقيقته:

ـ حسن جداً، أرجو أن لا تتوقع مساعدتنا أنا وجوفري لتخرج من الورطة. فالركود الاقتصادي أصابنا جميعاً.. وأنت تعرف هذا. كلّ ما أستطيع فعله، هو أن أجد لك مكاناً آخر تعيش فيه إلى أن تقف على قدميك مجدّداً.. ويجب أن يكون مكاناً متواضعاً، بالطبع.. لكن جوفري مستعد لأن يدفع لك إيجار سنة مقدماً. سيكون هناك على الأقل سقف يظلّل رأسك، وأنا واثقة أن أحد معارفه في العمل، سيتمكن من العثور على مسكن مناسب.

فكرت فويبي بغضب أنّ «متواضع» لم تكن الكلمة المناسبة.. فهاوتن كوتيج الذي يملكه السيد آرثر هانسون كان معتزلاً دون أدنى ريب..

كانت فويبي تحتفل بنتيجة الامتحانات النهائية، حين أرسل مرشد صفها بطلبها، وكان لطيفاً جداً، ومتعاطفاً. لكن لم يكن هناك من طريقة لتخفيف الصدمة.

لقد توعّك والدها فجأة وهو ينتظر دوره في مكتب الاستخدام المحلي. ونقلته سيارة إسعاف، وقام الجميع بما في وسعهم، لكنه توفّي لدى وصوله إلى المستشفى.

عرفت فويبي، الحزينة المفجوعة، أن بإمكانها البقاء في المنزل إلى حين انتهاء مدة الإيجار. لكنها شكت في أن يكون السبب أن عمّها جوفري لم يستطع استعادة ما تبقى من مبلغ الإيجار من «هانسون الكريه» كما أسماه والدها.

ولم تكن ترغب في البقاء.. حتى في ويستكومب كلها.. فهذا الجزء من البلاد لم يكن فيه الكثير من الذكريات السعيدة لها، لكنها أدركت أنها تحتاج إلى فرصة تستعيد فيها أنفاسها ولم يخطر لها أنها ستلاقي صعوبة في العثور على عمل.

كانت تعرف كيف تستخدم الكومبيوتر، فتمكنت من الحصول على أعمال مؤقتة في مكاتب مختلفة. لكن العمل في المقاهي ناسبها أكثر من غيره.

لكن ما هو الذي تتوقعه؟ سألت نفسها وهي تحمص التوست، وتحضّر بيضة لعشائها.. لقد انقلبت حياتها رأساً على عقب خلال السنة المنصرمة.

Scanné avec CamScanner

وكل ما هي واثقة منه الآن هو شكها في المجهول.

هل تريد حقاً أن تكون مشرفة على مكتبة كما كانت تنوي دائماً؟ أم يجب أن تعود إلى الجامعة وتحوز درجة تعليم؟

فكرت: أنا لا أعرف ماذا أريد. كان أبي دائماً يقول إن من الأفضل القيام بشيء ما في مثل هذه الظروف ثم انتظار ما ترمي به الحياة.

لم يكن لديها جهاز تلفزيون في الكوخ.. فقد ادعى هانسون الكريه أن هوائي التلفزيون قد يضر بالمدخنة.. لذا أخذت تصغي إلى الراديو كعادتها، ثم أوت إلى الفراش.

لأول مرة منذ ما يزيد عن السنة، وجدت نفسها تحلم..

كالعادة، سمعت أنغام الموسيقى تتصاعد من مكان بعيد، وكانت هي تطير على فراش من غيوم وقد انعدم وزنها فراحت تدور ببطء ونعومة في دائرة عملاقة.. تغني لنفسها بصوت ناعم.. كان هناك وجوه مبتسمة تتطلع إليها، فردت الابتسامة برضى وحبّ، إلى أن رأت كل الوجوه قد باتت مقنعة وتحوّلت الابتسامات إلى مجرد رسم عليها.. حاولت الهرب، فأمسكت الوجوه بها.. تتردد ضحكاتها كصدى يتصاعد من خلف الأقنعة، فتختفي صوت الموسيقى.

ثم تلاشى كل شيء.. ورأته هناك.. السيد الأسود، ينظر إليها بعينين شديدتي البرودة.

صاح بها بكلمات لا معنى لها.. لكنها عرفت أن الكلمات مشبعة بالكراهية والازدراء.

أفزعها، وصدمها بغضبه وازدراءه. أدركت فجأة أنها مستلقية، فحاولت الجلوس ولكن جسمها كان ملتصقاً بالفراش.. وشرعت تدور ثانية إلى الخلف.. أسرع فأسرع، لتغوص في الفراغ، وحاولت أن تختبيء من الثلج والنار المتصاعدين من عيني «سيد الظلام»، مدركة عقيم محاولاتها.

واستيقظت تشهق بالبكاء عاجزة كما كانت دائماً.. وقد بلّل العرق جسدها كله.

حين تمالكت نفسها، استلقت بهدوء، تحدق في الظلام.. تتساءل عما تسبب بعودة هذا الكابوس.

فكرت مجفلة: فيتون ماغنا.. لقد قالت تارا إنها تعيش هناك.. لا بد أن هذا هو السبب.

لكن لماذا يتكرر الكابوس؟ فما حدث كان منذ ستّ سنوات على أي حال.. تلك الليلة المدمرة المذلة! ألم يحن الوقت بعد لكي تنسى هذه الذكرى؟

كلما أسرعت في الابتعاد عن هذه المنطقة، والشروع في بداية جديدة تماماً.. كلّما كان أفضل لي.

كان اليوم التالي يوم جمعة، يوم التسوُّق، حيث يكون المقهى مكتظاً بالناس.

في الوقت المعتاد، نظفت فوبيي الطاولة في الزاوية قرب النافذة، ووضعت عليها إشارة «محجوزة».

أو لن أبدو بلهاء إنْ لم تأتِ؟

لكن، بالتأكيد، ظهرت تارا في الوقت عينه. وبدت مسرورة لأن فوبيي حجزت لها مكانها.

ابتسمت لها فوبيي:

ـ ماذا سيكون الطلب اليوم؟ حليب ساخن..؟ لقد أعدَّت السيدة بريستون فطائر شوكولا لذيذة.

لمعت عينا تارا: «أجل.. أرجوك».

بعد ذلك، تدفق المزيد من الزبائن، ومرت ساعة قبل أن تدرك فوبيي أن تارا لا تزال جالسة إلى الطاولة عند الزاوية، تحدق ببؤس عبر النافذة.

وقفت قربها:

ـ أنا آسفة صغيرتي.. هل تنتظرين كي تدفعي؟

هزت الطفلة رأسها، وأطرقت تعض شفتها.. وقالت بما يشبه البكاء:

ـ لا أستطيع.. سندي لم تعطني مالاً اليوم. قالت إن علي الانتظار هنا إلى أن تعود. لكنها لم تعد.

Scanné avec CamScanner

مررت فوبيي لها منديلاً ورقياً:

ـ لا تتكدري.. سأقول لك ماذا سنفعل.. سأدفع الفاتورة عنك.. ويمكن لسندي أن تحاسبني.. فما رأيك؟

هزت تارا رأسها: «لا أستطيع فعل هذا.. فأنا لا أعرف أين هي».

حاولت فوبيي تصنع العفوية: «لا يمكن أن تكون بعيدة جداً. تعرف أنك منتظرة.. هل خرجت مع صديقها مرة أخرى؟».

اتسعت عينا تارا في وجهها الصغير: «يجب أن لا تعرفي عنه شيئاً.. لا أحد يجب أن يعرف.. ستغضب لو ظنت أنني قلت شيئاً».

قالت فوبيي بمرح: «حسن جداً.. أنت لم تقولي شيئاً.. لذا لا بأس في هذا. والآن، ابقي حيث أنت، وسآتيك بفطيرة شوكولا أخرى، وإلى أن تنتهي من أكلها، ستكون سندي هنا».

مرت لاين بهما تحمل صينية ممتلئة: «ماذا يجري هنا؟».

ردت فوبيي هامسة:

ـ سندي.. لم تظهر.

وارتفع حاجبا لاين استغراباً.

لكن، بالرغم من تفاؤلها، لم تأتِ أيّ أوسترالية طويلة شقراء إلى المقهى. وكان وقت الإقفال يدنو بسرعة.

قالت لاين: «استدعي الشرطة. هذا ما ستقوله السيدة بريستون».

احتجت فوبيي: «لا أستطيع.. إنها متكدرة بما يكفي، يا للمسكينة!.. قد يحدث هذا الأمر في نفسها وقعاً مؤلماً».

تنهدت لاين: «إذن.. ماذا ستفعلين؟».

أخذت فوبيي نفساً عميقاً: «سأوصلها إلى منزلها بنفسي..».

ـ لا يمكنك اصطحاب طفل شخص آخر هكذا.. وإلا فستستدعيك الشرطة.

نظرت فوبيي إلى الساعة فوق باب المطبخ:

ـ هذه مخاطرة يجب أن أقوم بها.. ولماذا لم يبحث عنها أحد بعد؟ لا..

يجب أن أفعل هذا. يجب أن أوصلها إلى منزلها سالمة، وأكلم شخصاً مسؤولاً عما يحدث.

هزت لاين رأسها: «أفضل أن تقومي أنت بهذا.. لا أنا».

وكما توقعت فوبيي، ترددت تارا في مرافقتها.

ـ لا.. يجب أن أنتظر سندي.

قالت فوبيي بلطف: «لكن المقهى سيقفل أبوابه.. إذا أتت سندي سيكون المكان مظلماً ومقفلاً».

ـ إذن.. سأجلس في سيارتها وأنتظر.

ردت فوبيي بصمت: لن تفعلي هذا ولو على جثتي.. ثم قالت:

ـ لنذهب ونرَ ما إذا كانت السيارة لا تزال حيث أوقفتها.. ما رأيك؟

كان موقف السيارات الرئيسي خالياً الا من سيارة «البيجو ٢٠٥» البيضاء التي تقف في الوسط.. في عزلة تامة.. كانت مقفلة، مما زاد الأمر سوءاً في نفس فوبيي.

وبدأ قلقها يزداد مع مرور الدقائق حين لم تظهر سندي.

فقالت بصوت متهدّج: «قد يكون إطار الدرّاجة ثقب في طريقهما.. ومهما يكن الأمر.. فلا جدوى من البقاء هنا في البرد والظلام».

حالفها الحظ لأنها قبضت مرتبها وقت الغداء. ولم تأبه إن لم يسر من في منزل الفتاة بما ستقوله، فإنهم على الأقل سيعيدون لها ما دفعته.. أو لن يفعلوا؟

وضعت فوبيي حزام المقعد حول تارا: «هل تعرفين العنوان؟».

ـ بالطبع إنه شمالي «فيتون هاوس».

سأل السائق:

ـ وهل يقع هذا في الطريق إلى ميد بورتون؟

اعترضت فوبيي:

ـ لست أدري.. فأنا لم أذهب إلى المكان قطّ.

أو أن هذا ما تأمله على الأقل.. وسألت تارا:

Scanné avec CamScanner

ـ هل هذه هي الطريق تارا؟

ـ أعتقد هذا.

قال السائق: «حسن جداً.. فيتون ماغنا ليست مدينة كبيرة، وأظن أننا سنجدها».

كانت الرحلة هادئة عبر السهول المعتمة، لكن فوبيي كانت تشعر طوال الوقت، بتصاعد التوتر في داخلها... وإلى جانبها كانت تارا هادئة جداً.. ربما هادئة أكثر مما ينبغي؟

خطر لفوبيي بحدة: أنا لا أعرف عنها شيئاً في الواقع.. وبكل تأكيد، ليس ما يكفي للتطفل وتولي زمام الأمور هكذا.. لاين على حق، كان يجب أن أبقى بعيدة، وأن أسلم الأمر كله إلى الشرطة أو إلى الخدمات الاجتماعية. ما عساي أفعل إن لم أجد أحداً في منزلها؟ لماذا لم أفكر جيداً بالأمر؟

سمعت صوتاً مخنوقاً إلى جانبها.. وكأن تارا تبتلع البكاء. مدت فوبيي يدها لتمسك بيد صغيرة باردة مرتجفة، وتشد عليها في مواساة.. ثم همست:

ـ سيكون كل شيء على ما يرام. ثقي بي.

كانت تعلم، وهي تتكلم، أنها في الواقع، لا تستطيع تقديم أيّ ضمانات.

بدأوا بالاقتراب من مجموعة منازل، حيث كانت الأنوار تشع على النوافذ من خلف الستائر.. أحست فوبيي بقبضة باردة تعصر معدتها.

لا بدّ أنها ستجد نفسها في أي لحظة الآن، وقد عادت إلى المكان الذي يدور فيه السيناريو الحقيقي لكابوسها.

لكن.. قد يكون هذا ما تحتاج إليه.. أن تعود وتطرد من نفسها ذلك الشيطان بالتحديد، وإلى الأبد.. أن تدرك أنّ هذا كله جزء من الماضي. حتى وإن كان منزل الفتاة نفسه هو الذي أذلّت فيه بمرارة فلا بد أن من يقطنه الآن ليس الرجل نفسه.. فاسم عائلة تارا هو «فان».. ولا تربطها أي علاقة بأحد يحمل هذا الاسم.

وإلا لكانت تذكرت.

وفكرت: إنه آشتون.. دومنيك آشتون. هكذا كان اسمه.. ولم يكن «سيد الظلام» كما تصوره مخيلتها.. بل كان رجلاً طبيعياً ضبطها على حين غرة في منزله وبالتحديد في غرفة نومه، وكانت ردة فعله شرسة أمام مزحة معيبة لا ذوق فيها.

ولا بد أنه الآن في مكان آخر، يعيش حياته بشكل طبيعيّ... ومن المحتمل أنه لم يفكر مرة أخرى بما حدث.. ومما لا شكّ فيه أن فمه سيلتوي في سخرية وذهول إن هو عرف أنّ الذكرى لا تزال تقضّ مضجعها.

حدثت نفسها: لم يعد الأمر مهماً.. ولن أسمح له بأن يكتسب أي أهمية.

قال سائق التاكسي:

ـ حسن جداً.. ها قد وصلنا.

مالت فوبيي إلى الأمام.. لترى اسم منزل «نورث فيتون» مكتوباً على عمود الباب الحجري.. رفعت نظرها إلى فوق، لترى شعار الأسد المجنح الحجري يتصدر المدخل.. شعار لا يمكن أن تنساه.

قالت بلهجة تخلو من أي انفعال:

ـ أجل. أيمكن أن توصلنا إلى الباب أرجوك.. وأن تنتظرني؟

ترددت تارا في ترك السيارة: «سيكونون غاضبين جداً».

واختنق صوتها بالبكاء.

ـ لكن ليس منك.. وإلا سيكون عليهم التعامل معي.

تقدمت نحو درجتين منخفضتين تحف بهما جرار حجرية، وكانت خالية الآن مع بداية الشتاء. في آخر زيارة لها، كانت الجرار نابضة بالحياة، في تناغم تام مع الدفء والنور المنسكبين من المنزل ومع إثارتها الداخلية التي بعثتها الحفلة التي جاءت تحضرها.. والرجل الذي كانت ستراه.

هي الآن تسمع صوته يهمس لها بإغراء، يبعث في نفسها الشعور بالأمان:

ـ فوبيي الحلوة.. عديني بأن تأتي إلى الحفلة.

Scanné avec CamScanner

فكرت فويبي . . وقد ذهبت، كحمل يتقدم إلى الذبح . ورنّت الجرس .

بعد برهة، فتحت الباب امرأة بيضاء الشعر صلبة الملامح ترتدي فستاناً أسود ومريلة بيضاء نظيفة .

بدت الدهشة على المرأة : «مساء الخير . . هل أستطيع . . . ؟» .

ووقع نظرها على تارا، تتمسك بيد فويبي . . فارتفعت يدها لتضمها :

ـ أوه . . يا إلهي . . إنها الصغيرة، كان يجب أن تكوني في المنزل منذ ساعات، فتاة عفريتة . . كنت أوشك أن أحضر لك العشاء إلى جناحك . وهل لي أن أسأل عن سندي؟ أين هي؟

قالت فويبي بهدوء :

ـ يمكنك أن تسألي فعلاً . لقد أعدت تارا إلى المنزل من ذلك المقهى الذي أعمل فيه . . يبدو أنه حصل خطأ ما في ترتيبات عودتها .

كررت المرأة : «خطأ . . وماذا كانت تفعل الآنسة تارا في المقهى . . أودّ أن أعرف؟ فهي تخرج من المدرسة إلى دروس البيانو، ثم تعود إلى المنزل مباشرة . . هذا هو روتينها اليومي» .

نظرت فويبي إليها مباشرة :

ـ لا يبدو لي هذا . . لقد ذكرت العشاء، وهذه فكرة رائعة . . لقد مرت تارا بوقت عصيب، كما يمكن أن تتخيلي .

نقلت المرأة نظرها من واحدة إلى أخرى .

ـ حسن جداً . . أجل . لست أدري ماذا أقول .

قرّبت فويبي الفتاة إلى الأمام :

ـ أرجو أن تأخذيها إلى الطابق العلوي، وأن تهتمي بها . . هيا صغيرتي، وسوف أصعد لأودعك بعد أن أكلم والدك .

التفتت إلى المرأة : «أعتقد أنه هنا» .

ـ أجل يا آنسة . . إنه يعمل في مكتبته .

ونظرت المرأة بارتباك إلى باب على يمين الدرجة الكبيرة، وأكملت :

ـ لكنه أعطى تعليمات صارمة بأن لا يزعجه أحد .

قالت فويبي بخفة، كانت أبعد من الإحساس بها :

ـ هذا أمر مؤكد . . لكنني أعتقد أن الأمر طارىء . . ألا تعتقدين؟

تقدمت فويبي وفتحت باب المكتبة، ودخلت .

كانت غرفة تتذكرها بشيء من الغموض . . بجدرانها المليئة برفوف الكتب والمنضدة الضخمة في زاويتها .

كان يقف مديراً ظهره إليها، ينتظر رسالة «فاكس» تصله على طاولة جانبية .

وتكلم، بصوت حاد نافد الصبر :

ـ كاري . . أعتقد أنني قلت . . .

فانفجر الغضب الذي كان يتأجّج في نفس فويبي :

ـ أنا لست كاري . . سيد شان . . لقد جئت لتوي بابنتك من «ويستكومب» حيث تركت وحدها، وأود أن أعرف ما إذا كنت رجلاً أنانياً أو أباً غير مسؤول بشكل إجرامي .

استدار ببطء . . وراحت عيناه الرماديتان تطوفان فوقها دون تردد . «كالثلج المحرق»، هذا ما كانت تعتقده . . وقد عرفته الآن .

شهقت وتراجعت إلى الخلف .

ـ لست أدري من أنت بحقّ الجحيم، لتقتحمي علي المكان وتسيئي معاملتي هكذا . لكنك ارتكبت خطأً فادحاً أيتها الشابة .

كانت كل كلمة تشبه لذعة السوط .

صمت . . وراح يتفحّصها من قمة رأسها البني الناعم الشعر إلى بذلة العمل بقميصها الأبيض والتنورة السوداء القصيرة، حتى قدميها الصغيرتين في الحذاء العادي . . سجل كل شيء . . ثم صرف نظره عما رأى بازدراء ما زالت تذكره جيداً منذ ست سنوات .

قال بصوت ناعم :

ـ اسمي آشتون . . دومنيك آشتون . . والآن . . أعطيني عذراً واحداً، وجيداً، يمنعني من طردك .

***

LOVE_Shades

www.rewity.com

Scanné avec CamScanner

LOVE_Shades

٢ ـ لعبة القدر

أرادت فويبي أن تهرب.. بأسرع وأقصى مما فعلت في حياتها.. لكنها أصيبت بدوار لم تتمكن معه من الحراك، أو التفكير. لم تستطع سوى التحديق الى الكابوس الواقف أمامها بلحمه ودمه.

لقد تغير، استطاعت أن تلاحظ هذا على الأقل.. فلا يزال الشعر الأسود الكثيف الذي لم يلامسه الشيب بعد، يتموج إلى الوراء دونما ترتيب.. لن يكون قط وسيماً في يوم من الأيام، أنفه بارز كثيراً.. وفمه وذقنه مشدودان بصرامة لا هوادة فيها.. وعيناه الرماديتان قابعتان بحدة بالغة تحت حاجبين مرتفعين في سخرية.. لكن يبدو الآن أنه يملك ضميراً حياً أكثر مما كان في آخر لقاء كارثي لهما.

هي التي تغيرت.. أدركت هذا وهي ترتعش جراء الغضب الذي دفع بها إلى هذه الغرفة. لم تعد الفتاة الساذجة، التي غُرر بها وهي في السادسة عشرة من عمرها.

إن الطفلة المعرضة فعلاً للأخطار هي في الطابق العلوي وهذا كل ما يهمها في هذا الموقف.

رفعت ذقنها عالياً راجيةً أن لا يخذلها صوتها.. قد لا تستطيع مساواة ازدرائه الكامن في نظراته. لكنها ستحاول بحق الله.

ـ السبب.. سيد آشتون.. هو تارا.. لقد كانت طوال الأسبوع المنصرم، تمضي جزءاً من يومها في ويستكومب دون إشراف من أحد.

قطب حاجبيه الأسودين وقال: «ما هذا الهراء الخطير؟».

هزت فويبي رأسها بثبات: ليس هراء أبداً.. كانت الفتاة التي تعتني بتارا، تتركها في المقهى الذي أعمل فيه لتلتقي بصديق لها.. يملك دراجة نارية.

ساد صمت ثقيل.. كان دومنيك آشتون لا يزال يحدق بها، لكنها كانت تشعر أنه لا يراها.

قال كأنما يحدّث نفسه: «سوف أصل إلى حقيقة هذا الأمر».

وسار نحو الباب.

مدّت فويبي يدها تمنعه.

ـ إن كنت ستبحث عن سندي، فهي ليست هنا. فسيارتها لا تزال قابعة في الموقف، وهي لم تأت لتأخذ تارا.

توقف، ونظر إليها.. بوجه متجهم.

لقد كرهته ست سنوات لقلة إدراكه، وقلة تعاطفه.. ولم تتوقع قطّ في حياتها أن تشعر بالأسى عليه.. لكن هذا ما أحست به بطريقة ما.

ها هي تراه الآن وسط امبراطورية عمل ما.. والتقنيات تملأ المكان... وللحظة قصيرة، خارت كل قواه.. وحار في مواجهة موقف لم يستطع السيطرة عليه.

قال بصوت هادىء: «أتقبّل ما تقولين... لكنني ما زلت أعتقد أن علي التأكد.. ألا توافقين؟ أرجوك، اجلسي آنسة.».

ـ غرانت... فويبي غرانت.

هز رأسه كأنه يحفظ الاسم.

نظر إليها مجدداً، بغضب وحيرة:

ـ أين قلت إنك التقيت بابنتي تحديداً؟

ـ في مقهى كلوثر.. أنا أعمل ساقية هناك.. إنها تجلس على إحدى الطاولات.. وقد لحقت بها بعد ظهر أحد الأيام إلى الخارج، ورأيت سندي تقابلها.. وهكذا عرفت بأمر صديقها.. وليس عبر تارا.

نظر إليها كأنما ينظر إلى امرأة مجنونة: «وما الفارق في هذا؟».

Scanné avec CamScanner

ـ لقد وعدتها تارا أن لا تقول شيئاً . . وهي تخشى الإخلال بالوعد .

ـ يا إلهي .

أشار إلى طاولة في الزاوية الأخرى .

ـ ستجدين إبريق القهوة الكهربائي والفناجين . . قدّمي لنفسك فنجاناً واسكبي واحداً لي . . يبدو أنك بحاجة إلى ما يهدىء أعصابك . . وأنا كذلك .

ردت بصوت أجش : «لا أريد القهوة» .

ـ يجب أن تشربي . . هل أنت دائماً بهذا الشحوب؟

أحنت فويبي رأسها :

ـ هناك سيارة أجرة تنتظرني ، ويجب أن أذهب . . حقاً .

ـ وسأكون ممتناً لك لو بقيت . . على أي حال ، لقد وصلت إلى هنا وأنت تعلنين عن كارثة رهيبة ، وتطلقين اتهامات شخصية . . إني أطلب فرصة للدفاع عن نفسي . . لكن يجب أولاً أن أكلم تارا . . حسناً؟

هزت رأسها وهي تتجنب نظراته ، واتجهت إلى مقعد قرب نار بهيجة تحترق في الموقد .

همست لنفسها بحذر وهي تسمع الباب يقفل .

ـ إنه لا يتذكرني . . لم يتعرف على اسمي حتى . . ولكنني لم أعطه سابقاً سوى نصف الاسم .

كان قد سألها بمرارة منذ ست سنوات : «من أنت؟» .

وتمتمت والحرج يتملكها : «فويبي» .

وبالطبع ، هي تبدو مختلفة الآن . . كان شعرها البني المجعد في تلك الليلة مخفياً تحت شعر أشقر مستعار ، وبشرتها مغطاة بالماكياج .

فكرت بأسى : «ولقد ظننت أني أبدو رائعة الجمال . . ذكية . . وبدلاً من هذا لم أكن سوى امرأة مغرورة بنفسها» .

ارتجفت ، ومدت يديها إلى النار . كانت رائحة الحطب المشتعل زكية . . والمقعد وثير عميق ومريح بشكل سحري . . وكان من السهل جداً أن تتكىء

إلى الوراء ، وتستسلم لنشوة اللحظة . . لكنها لن تستطيع تحمل الاسترخاء .

دومنيك آشتون لم يتعرف عليها ، لكنها تعرفه حق المعرفة . . وحين تخرج من هنا الليلة ، تريد أن يخرج من كيانها إلى الأبد .

لو أن تارا اعترفت منذ البداية بأن اسمها الحقيقي آشتون ، فهل كانت ستملك شجاعة كافية للمجيء إلى هنا ، ومواجهته هذه الليلة؟

على الأرجح . . لا .

لكن لماذا قالت لها تارا هذه الكذبة التي لم يكن لها من داعٍ قطّ؟ ومن أين أتى اسم ڤان؟

لست بحاجة لأن أعرف . . ذكرت نفسها بحزم . لقد قمت بما صممت على القيام به ، وتأكدت من سلامة تارا . . وهذا كل ما في الأمر . .

لكنها لم تستطع إلا أن تتذكر أنها في آخر مرة رأت فيها دومنيك آشتون ، كان رجلاً صارماً وحاداً . وكانت تارا مولودة . . أصبح أرملاً الآن على ما يبدو ، وكان لديه ما يشغل باله في تلك السنوات الست ، أكثر من مزحة تافهة ، وإن كانت قاسية . . ثم إن الضرر الذي ألحقته بنفسها بدا كأن لا قيمة له نسبياً بالمقارنة مع ما عاناه هو بالتأكيد .

أوه . . استجمعي نفسك . . حدثت نفسها بنفاد صبر . . لقد سمحت لنفسك بالشعور بعطف قد يكون مبرراً . . لكن الواقع أن دومنيك ما زال خنزيراً ، سادياً ، لا قلب له ، وتشير الدلائل إلى أنه لم يتغير .

بدا الوقت قبل عودته كأن لا نهاية له . . ورأته يحمل صينية فضية عليها وعاء فضي أُعدت فيه القهوة الطازجة ، وفناجين وضعها على المنضدة .

وقال : أعتقد أن علينا معاً ، أن نأخذ نفساً عميقاً ، ونعود ثانية إلى البداية .

ترددت فويبي بارتباك ، قالت مقطوعة الأنفاس : «في الواقع لا داعي لكل هذا سيد آشتون ، لقد فعلت ما اعتقدته صواباً وضرورياً . . والآن أرغب حقاً أن أغادر . . سيارة الأجرة تنتظر» .

هز رأسه : «دفعت له الحساب . . .» .

Scanné avec CamScanner

قالت بصوت مرتفع: «ماذا فعلت؟ ليس من حقك...».

قاطعها بنفاد صبر: «أوه.. أرجوك.. من الواضح أن لي كل الحق لأعرف ماذا يجري.. وبعد أن نتحدث، سأوصلك بنفسي. وهذا أقل ما أفعله».

يا إلهي.. هذا يناقض تماماً آخر لقاء لنا.. يومها رميتني إلى الخارج دون الاكتراث بما قد يحدث لي.. ولم أكن يومها أكثر من طفلة.

قالت بحدة: «سيارة أجرة أخرى تفي بالمطلوب، فأنا لا أريد أن أشغلك عن أعمالك المهمة».

وشدّدت على الكلمتين الأخيرتين بنبرة ساخرة.

ارتفع حاجباه في اعتراض سريع:

ـ أنت لست حسنة الظن بي، آنسة غرانت.. أليس كذلك؟ هل أكسب بعض النقاط إن أقسمت لك أنني كنت أعتقد حقاً حين عدت إلى البيت في المساء، أنّ تارا موجودة بأمان في غرفتها تحت رعاية مربيتها التي أدفع لها مرتباً مرتفعاً؟

ـ مع ذلك، لم تكن من الأولويات عندك.. فأنتَ لم تتفقدها فعلاً.

قال بوقار: «سجلت عليّ نقطة.. والآن، ألا تريدين شرب هذه القهوة.. أو تريدين رميها فوقي؟».

ابتسمت فوبيي رغماً عنها. فرد لها ابتسامتها، وأدركت أنها المرة الأولى التي تراه فيها مبتسماً. وأدركت كذلك، مدى الجاذبية التي يمكن لهذا الرجل أن يمارسها حين يريد.

أشكر الله أنني منيعة.. وقبلت فنجان القهوة شاكرة.

أعطاها دومنيك آشتون وعاء الحليب:

ـ هل لي أن أعيد التركيز على بضع نقاط؟ هل رأيت سندي فعلاً مع ذلك الشاب.. وكم مرة؟

ـ مرة واحدة.. بالأمس.. لحقت تارا إلى الشارع لأرى الى أين ستذهب.. ولأتأكد أنها على ما يرام.

قال متجهماً: «لم يطل الوقت لتتدبر أمرها، لقد انتقلنا إلى هنا منذ ثلاثة أسابيع فقط».

هزّت كتفها: «أعتقد أن من حقها أن يكون لها حياة «اجتماعية»».

ـ طبعاً، لها عطلة في معظم نهايات الأسبوع.. وعادة كل مساء كذلك.. الفكرة الأساسية من نقل أعمالي إلى هنا، هي أن أقضي وقتاً أطول مع تارا.

ـ لكنني اعتقدتُ...

وصمتت فجأة.

ـ ماذا اعتقدتِ؟

ـ أنك تضطر إلى السفر كثيراً في عملك.

ـ هذا يحدث بالطبع. لقد غبت ليلة ونهاراً كاملاً خلال هذا الأسبوع.. لكني أعتقد أن تارا تتفهم ذلك أو هذا ما أتمناه على الأقل.

قالت فوبيي ببطء: «تبدو ناضجة جداً بالنسبة إلى فتاة في سنّها.. واثقة جداً من نفسها».

نظر إلى فنجانه:

ـ بعض الأحيان.. أجل. فهي مضطرة لأن تكبر بسرعة.

ـ أجل.. لا بد أن الأحداث كانت قاسية عليها.. فقدان أمها هكذا.

قال بخفة: تجعلين الأمر يبدو كأنها تعمّدت اللامبالاة.

انفرجت شفتاها قليلاً وشهقت بصمت وغضب، وقالت بخشونة:

ـ أرجو أنك لا تتحدث عن زوجتك الراحلة أمام تارا، بمثل هذه الخفة دائماً.

قال بصوت حادّ، وعيناه الرماديتان تمعنان النظر في وجهها الغاضب:

ـ أنا أحاول أن لا أذكرها أبداً.. ثم حين تتكلمين عن زوجتي «الراحلة»، هل تعنين مرض سيرينا أم أنك فهمت خطأً أنها فارقت الحياة؟

كادت فوبيي تسكب قهوتها: «أتعني أنها ليست ميتة؟».

قال بسخرية: «لا.. الطيبون وحدهم يموتون وهم صغار في السن..

Scanné avec CamScanner

وعلى هذا الأساس، ستعيش سيرينا أكثر منا جميعاً».

تحول لون فوبيي إلى القرمزي.

ـ أوه.. يا الله.. لكن تارا قالت إن لا أم لها. وافترضت...

هز دومنيك آشتون كتفيه:

ـ لا يهم.. تارا على صواب من نواح عدة.. أنا وسيرينا مطلقان منذ سنتين. وهي تتابع مهنتها في كاليفورنيا.. واتفقنا على أن تبقى تارا معي.

قالت فوبيي وقد تخدرت أحاسيسها:

ـ سيرينا فان.. بالطبع.. الممثلة، كان يجب أن أعرف.

ـ ظننتك تعرفين.. على أي حال لقد نادبتني بالسيد فان حين دخلت إلى هنا.

نظرت فوبيي إلى الأرض.

ـ أنا آسفة. لا بد أن هذا كان.. غير ملائم.. أبداً.

وافق بهدوء: «نعم. لكني اعتدت على هذا خلال فترة زواجنا، وإن لم أكن راضياً».

ـ لقد شاهدتها على التلفزيون في فيلم، وكانت رائعة.

ـ أجل.. فالتمثيل هو أفضل ما تقوم به سيرينا. ولا ألومها إن هي رغبت في تجربة حظها في هوليود.. لكنني لم أرغب بمثل هذه الحياة لتارا.. ولم أرغب كذلك بأن يدعوها الناس بذلك الاسم السخيف.. لكن سيرينا كانت مقتنعة، قبل أن تذهب، أنها ستكون شهيرة مثل سكارلت أوهارا في فيلم يشبه (ذهب مع الريح) ولم يتحقق أبداً.

ارتشف ما تبقى من قهوته، ووضع الفنجان من يده.

ـ أقترح أن نقسم معاً بأن لا نقوم بمزيد من التكهنات.. أنت كنت مقتنعة أنني والد لا مبال دائم الغياب. وأنا افترضت أنّ بالإمكان الاعتماد على سندي التي جاءت بكتاب توصية جيد وكانت لطيفة.

ـ وماذا ستفعل بها؟

ـ يجب أن أجدها أولاً. لا تزال ملابسها في غرفتها.. لذا، أعتقد أنها ستعود.. عاجلاً أم آجلاً.. عليّ أن أباشر اتصالاتي بعدما أقلك.

قالت بائسة:

ـ ستوفر الكثير من الوقت والمشقة لو استدعيت لي تاكسياً.

ـ قد أعدت ابنتي سالمة إلى المنزل. وأريد أن أقابلك بالمثل.

وهذا بالطبع ما لا تستطيع الرد عليه، وشدت على أسنانها.

ـ أود أن أودع تارا أولاً.. إن كان لا بأس في هذا.

ـ بالطبع.. حين تشائين.

بدأت ترتجف وهما في منتصف السلم... أيّ الغرف هي غرفة تارا؟ إن كانت... تلك الغرفة... فلن تستطيع المضي في ما أرادت القيام به. لكن هذا مستحيل، فقد كانت تلك الغرفة، ولا تزال، غرفة النوم الرئيسة.

أحست بالارتياح حين تجاوزا الباب.. ونظرت فوبيي إلى الأمام، دون أن ترى شيئاً في الطرف البعيد من الممر.

قال دومنيك آشتون وهو يقودها إلى الطريق:

ـ كان هذا دائماً جناح الأولاد.. غرفة نوم سندي هنا كذلك. وهناك غرفة ألعاب كبيرة، إنه جناح مستقلّ بذاته.

تمتمت فوبيي عبارات غير مفهومة.

وكانت تارا في الفراش تبدو متمردة.

ـ قالت كاري إن عليّ النوم باكراً.. لكنني أردت النزول لألعب معك ومع فوبيي.

عبث دومنيك بشعرها: أنا أوافق كاري الرأي.. لقد مرحت ولعبت بما فيه الكفاية اليوم.

أدارت تارا إلى فوبيي عينين متوسلتين:

ـ أتأتين في وقت لاحق لتلعبي معي.. أرجوك؟

هذا ليس جزءاً من الخطة.

ابتسمت لتارا ابتسامة مكبوحة:

ـ لا أستطيع أن أعدك.. أنا.. مضطرة للعمل لكي أعيش.. ولديك سندي تلعبين معها.

Scanné avec CamScanner

ابتسمت تارا بخبث:

ـ لم تعد هنا. سمعت دادي يقول لكاري إنها لن تعود ولو على جثته.. دادي لماذا لا تكون فويبي مربية لي؟

ساد صمت قصير، ثم قال دومنيك بسهولة:

ـ أنا واثق أن لها مئة عذر يمنعها من ذلك.. وسأتركها لتقول لك ذلك.. بينما أجري بعض الاتصالات الهاتفية.

سألت تارا بعد أن أصبحتا وحدهما:

ـ أحقاً أنك لا تريدين أن تكوني مربيتي؟ ظننتك تحبينني.

جلست فويبي على حافة السرير:

ـ أنا أحبك فعلاً. لكن الأمر ليس بمثل هذه البساطة.. فلدي وظيفة أعمل بها.

ـ لكن العمل هنا ألطف من العمل في المقهى. سيكون لك غرفة نوم جميلة.. أتحبين أن تلقي نظرة عليها؟

همّت بالخروج من السرير، فمنعتها فويبي بحزم.

ـ وأنا لدي منزلي... سيجد لك والدك بسرعة من يعتني بك.

قالت متمردة توشك على البكاء: لا أريد شخصاً آخر.

هزت فويبي رأسها:

ـ اسمعي.. جئت لأقول لك تصبحين على خير.. لا لأتشاجر معك. سيكون كل شيء على ما يرام صغيرتي.. سترين.

جذبت تارا يدها: لا أحب أن أكون وحدي.

ـ اسمعي.. إذا كنت فتاة طيبة، أتيت للعب معك في يوم ما.. إن سمح لي والدك.

ارتفع وجهها عن الوسادة: هل تأتين غداً؟

ـ لا.. فعلي الذهاب إلى العمل.. ثم إن أيام السبت والأحد أيام خاصة بك تمضينها مع والدك. أليس كذلك؟

تلوت تارا قليلاً:

ـ آ.. آ.. أجل.. لكنه لن يمانع في وجودك أيضاً.

ـ أوه.. بل أظنه قد يمانع.. ادخلي عمق السرير الآن وسأغطيك جيداً.

أطاعتها تارا قائلة: تبدين مثل المربية.

انحنت فويبي تقبل خدها الزهري.

ـ هذا هو الجزء الأسهل من عمل المربية.

أقفلت فويبي الباب خلفها بهدوء، وهمّت بالنزول إلى الطابق الأرضي.. كانت كل الأبواب مقفلة هناك غير أنها تتذكر ما هي تلك الغرف. وارتبكت خطواتها قليلاً.. خاصة عند غرفة واحدة منها. تلك التي تحوي سريراً كبيراً له أربع قوائم مرتفعة، تعلوه ستارة كبيرة.. السرير الذي أخذت إليه...

تناهى إلى سمعها من الماضي صوت شخص يقول:

ـ يبدو لي كمذبح دموي.

وصوت توني: إذن، فلنتقدم الذبيحة العذراء.

ارتجفت بقوة، محاولة أن تصد صوته بعيداً عن سمعها.

ـ هل ثمة خطب ما؟

اخترق صوت دومنيك آشتون ذكرياتها. وأدركت أنها تقف، مسمرة في مكانها، خارج غرفة نومه.. وكان هو عند قمة السلم ينظر إليها.

قال:

ـ لم أسمع من قبل أن هذا المنزل مسكون بالأرواح. لكنك تبدين كمن رأى شبحاً.

ـ لا.. لا.. أنا بخير.. ظننت أني سمعت تارا تنادي.

قال: سأنام في جناحها هذه الليلة.. فلربما احتاجت إلى شيء.

تجاوزته فويبي لتنزل: أتظن أن ما من فرصة لعودة سندي؟

قال متجهماً: إنها لن تعود.. إنها في المستشفى.. وصديقها كذلك. لقد اتصلت للتوّ بقسم الطوارىء في ويستكومب. يبدو أنهما تعرضا لحادث على الدراجة النارية وهما مسرعان للعودة إلى تارا.

شهقت فويبي.

www.ewity.com

Scanné avec CamScanner

ـ وهل إصابتهما خطيرة؟

ـ ليس كثيراً.

ـ لا تغضب منها كثيراً، أرجوك. ستعرف بنفسها مدى حماقتها. وستشعر بالسوء حيال الأمر. ثم إن الغضب شيء كريه.. حين يكون المر خائفاً وخجلاً.. على أي حال..

وتلاشى صوتها إلى الصمت.

ـ حسن جداً.. كان هذا بالتأكيد نداءً صادقاً من القلب.

ناولها معطفها وقال: «هل أبدو مخيفاً حقاً»؟

دست فوبيي ذراعيها في المعطف: أنا.. كنت أتكلم بشكل عام.

نظر إليها متفحصاً وهي تعبث بالأزرار:

ـ حقاً؟ قد أقول إن هناك شيئاً محدداً في تفكيرك. و..

وارتاحت حين قاطعه جرس الباب.

ارتفع حاجبا دومنيك آشتون، وقال كأنما يحدّث نفسه:

ـ ومن يمكن أن يكون هذا.. الآن؟

تقدم إلى الباب وفتحه.

ـ حبيبي.

كانت المرأة التي عصفت إلى الداخل بكل ثقة، امرأة طويلة وشعرها الأشقر الشاحب متراجع إلى الوراء برباط مخملي.. وكان معطفها النبيذي القاتم يلوح حولها.

ـ مامي ودادي يقيمان حفلة عشاء.. و.. ولقد أرسلاني لأجرفك معي.

حدثت فوبيي نفسها باستمتاع مفاجيء.. هذا شيء أرغب حقاً في أن أراه يحدث.. دومنيك آشتون ليس رجلاً يسهل «جرفه».

قال بوقار: مساء الخير هايزل. هذا لطف منكم جميعاً.. لكن أخشى أنّي منشغل الليلة، فلدينا أزمة منزلية طارئة.

استقرت عينا القادمة الزرقاوان على فوبيي.. تتفرسان في مظهرها العادي والسترة القديمة التي ترتديها!

ـ أوه.. عزيزي.. هل وصلت في لحظة حرجة؟ هل كنت توشك على طرد أحد عمال المنزل؟ أستطيع الانتظار في السيارة إلى أن تنتهي.

قال دومنيك بلطف: لا.. في الواقع، الأمر مختلف. هذه فوبيي غرانت، وهي لا تعمل لدي إطلاقاً.. آنسة غرانت.. هل لي أن أعرفك بهايزل سينكلير، وهي ابنة جار لي؟

تمتمت فوبيي: كيف حالك؟

افترّ ثغر الزائرة عن ابتسامة مشرقة.. وقالت من بين أنفاسها: كيف حالك يا فوبيي.

ثم عادت هايزل سينكلير إلى الطريدة.

ـ ما هي المشكلة إذن حبيبي؟ هل أستطيع تقديم المساعدة؟

هز رأسه: لا أعتقد.. لقد تصرفت مربية تارا تصرفاً أحمق، وانتهى بها الأمر في المستشفى.

رفعت هايزل يديها في الهواء.

ـ آه.. أولئك الفتيات اللعينات.. لطالما بدت لي تلك الفتاة مشاكسة. ما أنت بحاجة إليه الآن، هي امرأة أكبر سناً.. مربية من المدرسة القديمة لتربية الأولاد. لترعى المسكينة تارا بحزم وصلابة.

سأل دومنيك بلطف: أتظنين أن هذا ما تحتاج إليه؟

ربتت على ذراعه بخبث:

ـ كل الصغيرات بحاجة للحزم عزيزي.. خاصة الفاتنات مثل تارا، التي تستطيع أن تتلاعب بأبيها بإصبعها.. إنها ساحرة.. لكن عليك أن تتوخى الحذر وأن لا تبالغ في التعويض عن النقص الذي تعانيه جرّاء غياب والدتها.

قال بجفاء:

ـ أنا أعي هذا. منذ ساعة خلت كنت أعتقد أني أنجح في الحفاظ على التوازن جيداً. إلى أن وصلت الآنسة غرانت لتصحح ظنوني..

وجدت فوبيي نفسها تحت وطأة عيني الزائرة تتفرسان فيها بحدّة.

Scanné avec CamScanner

وقالت هايزل: أوه.. حقاً؟ هل أنت عاملة اجتماعية، إذن؟
قالت فويبي: لا.. أنا ساقية في مقهى كلوڤر في ويستكومب.
ـ فهمت..
قال باختصار: لا أريد أن أبدو فظاً هايزل، لكنني كنت أهمّ بالخروج لإيصال الآنسة غرانت إلى ويستكومب.. ثم زيارة المستشفى.
ـ بالطبع.. وأنا عليّ أن أعود.. سيصل أول الضيوف الآن.
ابتسمت له بصفاقة، وأكملت:
ـ إن كان لديك وقت بعد إكمال مهمتك الإنسانية، مرّ بنا..
أمسك باليد التي مدتها إليه ليقبلها.
ـ أعتقد أني أستطيع أن أعدكِ بهذا... لكن ليس الليلة هايزل.. سأتصل بكِ في الأسبوع القادم وسنتناول العشاء معاً.
ـ سألزمك بوعدك هذا حبيبي.
ورمقت فويبي بنظرة باهتة.
ـ عمت مساء آنسة...؟
ـ غرانت.. من مقهى كلوڤر.. اختصاصنا كل ما يخبز في المنازل.
استدار دومنيك آشتون إلى فويبي، وهو يقفل الباب الأمامي خلف هايزل.
ـ أنت لست مترددة خجولة كما تبدين، أليس كذلك آنسة غرانت؟
بادلته نظرته: لست أفهم.. هل من مشكلة؟
ساد صمت غريب، كثيف ثم قال ببطء: أتعرفين آنسة غرانت؟ أظن أنه ستطرأ مشكلة.. أظنّ حقاً أنه قد تطرأ مشكلة.
تنهد بسرعة وحدة:
ـ حسن جداً.. هل نذهب الآن؟
ـ أرجوك.
وفكرت: كلما أسرعنا كلما كان أفضل.

***

LOVE_Shades

٣ ـ كيف أنسى؟

كانت الرحلة صامتة في معظمها.. وبدا دومنيك آشتون تائهاً في أفكاره وهو يقود سيارته القوية في الطرقات الريفية ببراعة.
كانت فويبي جالسة إلى جانبه ويداها مضمومتان في حجرها، تشعر بانزعاج من قربه منها، بحيث لم تكن قادرة على ابتكار أي حديث.
سألها وهما يقتربان من ضواحي البلدة: أين تسكنين في ويستكومب؟
ـ أستطيع النزول في شارع «هاي».
رد ببرود: ويمكنني كذلك أن أرميكِ في النهر. دعينا نكفّ عن المراوغة وأعطيني العنوان.. فإن هذا سيوفر علينا الوقت والغضب.
ـ إنه هاثورن كوتيج.. تسعة وعشرين.. شارع رشتون.
تمتم: البساطة هي دائماً الأفضل.
تصلبت يداها في حجرها. تمالكي نفسك.. بضع دقائق أخرى وسيرحل..
قالت وهما يتوقفان: شكراً لك.
ـ أتمنى أن أصدق بأنك تعنين شكري.
مال إلى الأمام يتفحص المنزل الصغير المحشور بين المنازل الأخرى:
ـ مذهل.
أحست فويبي بالتوتر:
ـ أرجو عفوك؟

Scanné avec CamScanner

ـ يحق لك السؤال.

نزل من السيارة بخفة ليفتح لها الباب:

ـ كنت أفكر كم أنك خليط من التناقضات.

ـ حسن جداً.. أرجوك، لا تأرق وأنت تفكر بهذا سيد آشتون.

تجاهلت يده الممدودة للمساعدة، وخرجت.

قال بصوت منخفض ناعم: على العكس، يخامرني شعور قوي بأنك ستتسببين لي في الكثير من الليالي المؤرقة...

حدجته فويبي بنظرة عاصفة، وسارت نحو باب منزلها مرتجفة.

سمعت وهي تفتح البوابة الخارجية صوت بابها الأمامي ينغلق.. فوقفت مسمرة تتأوه!

ـ أوه.. لا.

تخطاها دومنيك آشتون قائلاً: سأعالج هذا الأمر.

واتجه نحو الطيف الثابت الواقف في الشرفة المسقوفة. وسارعت فويبي خلفه. ثم سمعت شهقة خفيفة ثم صيحة.. فقالت:

ـ أوه.. لا تؤذه.. إنه صاحب الملك.

ـ لكنه كان يخرج من منزلك.

قال آرثر هانسون بصوت حاد غاضب مقطوع الأنفاس:

ـ كانت تتذمر من تسرب المياه من السقف وجئت لألقي نظرة.

سأله دومنيك بازدراء: في الظلام الدامس؟ وليس معك مشعل حتى.

قال السيد هانسون يحاول استجماع شيء من الوقار:

ـ قررت أن ألقي نظرة على العلية أولاً.

ترك دومنيك ياقة الرجل: وفي غياب الآنسة غرانت؟

قالت فويبي بغضب: إنه يفعل هذا دائماً.

قال الرجل: إن لي الحق في أن أقوم بالتفقد المنتظم.

ـ من الآن فصاعداً، اتصل بالآنسة غرانت وحدد معها موعداً.

بينما كان السيد هانسون يتعثر مبتعداً، التفت دومنيك مقطباً نحو

فويبي. ثم دخل معها إلى الردهة، ينظر حوله متفحصاً كأنه يقارن المكان بنورث فيتون هاوس.

ـ كم يأخذ منك إيجاراً؟

رفعت فويبي ذقنها وقالت متحدية:

ـ ألا يدخل ذلك ضمن خصوصيتي التي ذكرتها لتوك؟

ـ إنه مجرد فضول.. لكن لدي اتصالات في سوق الإيجارات الخاصة. وأنا واثق أن بإمكانك الحصول على ما هو أفضل.

قالت بصوت جاف:

ـ إنه يتناسب مع حاجاتي الحالية.

ـ وهل يمنحك عملك كذلك الرضى الكامل؟

هزت كتفيها دفاعاً!

ـ أحب زملائي.. والزبائن لطفاء.

ـ ما عدا بعض اللصوص والمشردين.

ـ لم تكن تارا مشردة.. أرجوك سيد آشتون لا تدعني أؤخرك.. لا بد أنك تنوي الذهاب إلى المستشفى..

التوى فمه في تسلية:

ـ لدينا متسع من الوقت.. أنتِ لست ماكرة جداً آنسة غرانت، ولا مضيفة مرحبة.. باعتبار أنني أوصلتك، وخلصتك من مزعج.

أضاءت النور في غرفة الجلوس بتوتر متزايد!

ـ لم أطلب منك أياً من الأمرين.. ولا أحتاج إلى مساعدتك سيد آشتون، بإمكاني تدبير شؤوني بنفسي.

ـ بالطريقة عينها التي تديرين فيها مفتاح النور هذا.

ببرود متسلط، أزاحها جانباً بلطف، وأدار المفتاح ليشع النور المتقطع.

ـ هل يحدث هذا كثيراً؟

ـ إنه أمر مزاجي.

Scanné avec CamScanner

تمتم قائلاً: قد يكون لك تأثير فيه . . أو لا يعمل الإبريق الكهربائي كذلك؟

ساد الصمت . . ثم تنفست عميقاً:

ـ هل لي أن أقدم لك بعض القهوة؟

ـ هذا لطف كبير منك آنسة غرانت. ظننت أنك لن تفعلي قطّ.

صرّت على أسنانها وهي تتجه في الممر الضيق إلى المطبخ وتفكر: وأنا كذلك.

كانت تشعر بوجوده وهو يقف بالباب يراقبها، فملأت إبريق الماء، ووضعته على النار ليغلي. .

سارت حاملة القهوة إلى غرفة الجلوس، وتوقفت مندهشة حين رأت أنه أشعل النار في الموقد.

قال متشدقاً: هناك خرافة تقول إن على المرء أن لا يشعل النار في بيت أحد قبل أن يمضي على معرفته له سبع سنوات، لكنني قررت المخاطرة. . فعلى أي حال، نحن عملياً معارف قدامى.

أصدر قلبها خفقة مذعورة. وقالت:

ـ ليس بالنسبة إليّ.

التوى فمه.

ـ أنتِ لستِ ماكرة جداً. . . فويبي. هذا اسم غير عادي وجميل. هل لي أن أعرف كيف حصلت عليه؟ أم أن هذا يُعدُّ غزواً آخر لخصوصياتك؟

نظرت فويبي إلى النار المتراقصة.

ـ كانت أمي تلعب دور الراعية في مسرحية شكسبير «كما تحبها» حين التقت بأبي. وكان حب من النظرة الأولى.

ـ ولو أن فويبي لم تكن شخصية محبوبة في المسرحية؟

أجفلت فويبي: وهل شاهدتها؟

ـ أنا لست جاهلاً تماماً.

تراجع إلى الوراء مستنداً الى ظهر الأريكة القديمة ومدد ساقيه الطويلتين

أمامه . . ثم سأل: أين والداك الآن؟

عضت شفتها السفلى، ثم قالت له:

ـ ماتت أمي وأنا طفلة . . و . . فقدت أبي . . منذ أكثر من ستة أشهر بقليل.

أغمض عينيه لحظة:

ـ أوه يا إلهي . . أنا آسف. لم تكن ملاحظاتي الساخرة بشأن سيرينا في محلها.

ـ أنّى لك أن تعرف! أرجوك، لا تشغل بالك بهذا.

ـ هل لك أخوة أو أخوات؟

ـ لا أقارب لي إلا شقيقة أبي التي ما زالت حية. . لكننا لسنا مقربتين. . وضع أبي كل طاقاته في العمل بعد رحيل أمي. . وكان ناجحاً جداً. . في النهاية باع عمله بمبلغ كبير. . وكان من المفترض أنه أمّن على حياته واستثمر ماله في محل لبيع الكتب المستعملة. . أداره بنفسه كهواية له. . وكان سعيداً. . ربما للمرّة الأولى منذ سنوات.

ـ و. . ؟

ـ لكن شخصاً ما أقنعه باللعب في سوق الأسهم. . وانتهى به الأمر بأن أصبح مديوناً بمبالغ كبيرة. . مبالغ لم يكن قادراً على دفعها. . وخسرنا كل شيء. .

ـ ولم يستطع والدك العيش مع ذنبه. . إنها قصة مألوفة.

قصة لم تستطع أن تصدق أنها روتها له، فلم يسبق لها أن أفضت بسر إلى أحد. . . فكيف تمكن هو، من بين كل الناس، أن يخترق القوقعة؟

استجمعت دفاعاتها: كيف يمكن أن تعرف شيئاً عن هذا؟

ـ أصادف حالات مماثلة في عملي طوال الوقت. . فأنا مستشار مالي. . منقذ من المشاكل إن أردت. . أدخل شركات كبيرة وصغيرة، واجهتها المصاعب، وأحاول إيجاد حلول منطقية لها.

ـ أي تشجع الناس وهم في الرمق الأخير، ليغرقوا في دين جديد؟ وتزرع

Scanné avec CamScanner

آمالاً زائفة؟

ـ يبدو أن رأيك بي متشعب، كل أنواع التشعبات.

ـ نحن غرباء.. ولا رأي لي بك.

ـ أيتها السيدة.. كان يمكن أن تخدعيني.. كنت متعباً قبل أن تقع عيناك علي.

مال إلى الأمام، وعيناه الرماديتان ثابتتان على وجهها.. وأكمل:

ـ قدمت لي اليوم خدمة كبيرة. حين كنا في منزلي، اقترحت أن نحاول القيام ببداية جديدة.. ولا زلت أرغب بهذا.

سألت بجرأة: لماذا؟

ـ لأنني أريد أن أصبح صديقاً لك.

كان يتكلم بلطف، كذلك عيناه. وافتر ثغره فجأة عن ابتسامة لم يكن فيها لون من السخرية. أحست فوبيي رغماً عنها باندفاع يشبه الاشتياق، يتلوى في أعماقها. وأخافها هذا الإحساس.

قالت وقد فقد صوتها أي نبرة:

ـ هذا كرم أخلاق منك سيد آشتون.. لكن لدي ما يكفي من أصدقاء.

وقف على قدميه:

ـ حقاً.. حسن جداً.. لا بد أن هذا يجعلك فريدة من نوعك بالنسبة إلى الجنس البشري.. إذن.. هل لي أن أطلب عوضاً عن هذا أن لا تعتبريني عدواً حين نلتقي مرة أخرى في المستقبل؟

ـ من غير المحتمل أن تلتقي دروبنا مرة أخرى..

ـ يؤسفني سماع هذا.. لأنني أعرف أن تارا تريد من كل قلبها أن تراك مجدداً.

سار نحو الباب، ثم استدار ليقول بهدوء:

ـ فوبيي.. أرجوك، لا تسمحي لحكمك علي أن يؤثر على ابنتي.. لن يكون هذا إنصافاً.. ليلة سعيدة.

سمعت الباب الأمامي يُقفل وراءه، وغاصت إلى الوراء في مقعدها..

تعي أن ساقيها ترتجفان تحتها.

قالت همساً من بين أنفاسها:

ـ وهذا ليس إنصافاً كذلك.. أوه، أنت ماهر جداً سيد آشتون.

لم تستطع النوم تلك الليلة، ووجدت نفسها تتلوى من جانب إلى آخر في انزعاج.

كان دومنيك آشتون يحتل تفكيرها ويطرد ما سواه.

لم تستطع استيعاب حظها السيء.. لقد قال إنه لم يعد إلى فيتون ماغنا إلا منذ وقت قصير.. ولو لم تعرض عليها تلك الوظيفة المؤقتة في المقهى، لكانت انتقلت إلى مكان بعيد عن ويستكومب، بأمان تام.. وراحة بال.

راحة البال؟ بدا كأن صوتاً ساخراً في رأسها يطرح السؤال.. ويجيب: أنت لا تعرفين حتى ماذا يعني هذا.. كنت تعذبين نفسك لست سنوات بسبب الرجل.. تكفرين عن ذنب لم ترتكبيه. تنتقدين نفسك على إذلال لا يتذكره. حتى أن اسمك لم يثر أي تساؤل مريب في ذاكرته.. كنت تجلدين نفسك حتى الموت من أجل لا شيء.. أيتها البلهاء الحمقاء.

لقد رأيته الآن مجدداً.. وتكلمت معه، ولم يصل العالم إلى نهايته.. في الواقع، قد تكون هذه هي الفرصة المناسبة التي ستدفعك إلى الخروج من ويستكومب والبدء بحياة جديدة، الحياة التي وعدت نفسك بها.

دفعت الغطاء عنها، وخرجت من السرير. ارتدت روبها ونزلت إلى الطابق الأرضي.

لأن الجمر مازال يتوهج في الموقد، أضافت بضع عيدان وقليلاً من الفحم، ثم تكورت في زاوية الأريكة، تحدق إلى ألسنة النار.

مهما يكن ما فعلته، فإن الأحلام السيئة يجب أن تنتهي، كذلك استحواذ دومنيك آشتون عليها، على أساس أنه ذلك التذل الذي أخافها حتى الموت.

في الواقع لم تكن قبل الآن قد سمحت لنفسها بذلك، بسبب الآلام المبرحة التي ستعصف بها جزاء ذلك. وهي الآن سترغم نفسها على تذكر ما حدث منذ البدء.

www.rewity.com

Scanné avec CamScanner

وكانت البداية، طبعاً، مع توني..

ـ يعجبك أليس كذلك؟

ـ لا.. بالطبع لا.

كانتا في غرفة نوم تيفاني، تجربان الثياب. ونظرت فويبي إلى نفسها في المرآة وهي ترتدي تنورة حمراء فاقعة قصيرة وقميصاً أسود... لم تكن قد ارتدت شيئاً مماثلاً من قبل في حياتها.. لم يكن مسموحاً لها بذلك. كان أبوها محافظاً متطرفاً في ما يتعلق بالملابس..

في الواقع، من المذهل أن والدها قد سمح لها بقضاء بضعة أيام في منزل تيفاني. فلو أنه كانت لديه أي فكرة عن الفترة القصيرة التي عرفت فيها فويبي تيفاني، لكان رفض. في الواقع وصلت تيفاني إلى المدرسة في الفصل الدراسي السابق وبقيت تحت مراقبة صارمة.

كان منزل تيفاني مثاراً للدهشة.. كان تصميمه على طراز القصور الريفية التي تعود إلى ما قبل الحرب في عمق الجنوب الأميركي.

في الخارج صممت بركة سباحة على شكل قلب، ولها بركة «جاكوزي» ملحقة بها، وملعب تنس.

كان المكان جرّاء ذلك يكتظ بالناس، أو ربما يكون السبب الأساسيّ في ذلك هو الترحيب العادي الذي يلقاه أي شخص يزور آل بيشوب.

وكان توني كاثري واحداً منهم.

كان يدرس الفنون الجميلة في الجامعة.. لأنه كما قال لم يستطع التفكير بأي شيء قد يكون مفيداً أكثر.. وكان من الواضح أن تيفاني تعرفه منذ زمن طويل.

كان طويلاً أشقر، وعيناه الزرقاوان متجعدتان عند الزوايا، وله بشرة لامعة «سمراء» اكتسبها في الجزر اليونانية في مطلع ذلك الصيف. وكان سباحاً عظيماً، ولاعب تنس رائع، وراقصاً جذاباً.

لم تكن فويبي قد قابلت أحداً مثله من قبل، كانت تشعر إلى حين وصوله بأنها غريبة. فما من أحد تعرفه هناك، وبدا الجميع أشدّ ذكاء وأكثر حنكة

منها.

كانت تعي ببؤس أن بعض الفتيات الثريات سمَّينها «فيبل فيب» أي ما يعني الضعيفة الواهمة. وكن يضحكن عليها خفية.. إلى أن مرّ وقت تساءلت فيه فويبي عما إذا كانت تيفاني قد ندمت لدعوتها ولم تكن بالتأكيد تريد قضاء وقت طويل معها على ما يبدو. أما فويبي فكانت غالباً ما تجد نفسها ضائعة في منزل يخلو من الكتب.

ثم اكتشفت أخيراً، رقعة شطرنج على طاولة في غرفة زجاجية، كانت امتداداً لغرفة الاستقبال.

انحنت فوقها في أحد الأيام، تحل مشكلة شطرنج.. وتفكر بأي عذر يمكن لها أن تستخدمه لقطع زيارتها.. فإذا بها تسمع صوتاً من خلفها يقول بنعومة:

ـ يا إلهي.. لا أصدق.. أخيراً وجدت امرأة تملك دماغاً.

استدارت فويبي مجفلة، لتجد توني كاثري يبتسم لها.

جذب كرسياً قبالتها، وأكمل:

ـ يبدو أن الفريق الأسود في موقف حرج.. فلنرَ ماذا يمكن أن أفعله.

كانت فويبي حتى انتهاء اللعبة تتعلق بخجل بكل كلمة يقولها.

جلس تلك الليلة إلى جانبها على العشاء، وجذبها إلى حلبة الرقص فيما بعد.. واستطاعت فويبي أن ترى الدهشة في عيني الفتيات الأخريات.

فكرت بفرح: لست «فيبل فيب» إلى هذا الحد.

لكن أحاسيسها لم تخل من التوتر... فخبرتها مع الجنس الآخر كانت معدومة.. وقد تكون سعيدة، لكنها قلقة كذلك، غير واثقة مما يريده توني منها.

بدا توني كذلك قلقاً بشكل غريب.. متردداً في دفع الأمور إلى البعيد بينهما، ثم بدأت مع الوقت، بالتساؤل والقلق.

لكنها ابتهجت مع ذلك، حين قال لها إن هناك حفلة راقصة ستجري مساء الجمعة التالية في منزل ما على بُعد بضعة أميال.

Scanné avec CamScanner

سألها بلفة: ستأتين معي.. أليس كذلك؟

ـ أنا لست مدعوة.. ثم إنني وعدت والدي بأن أكون في المنزل في نهاية الأسبوع.

تأوه توني: أوه.. حبيبتي. لا يمكنك فعل هذا بي.. اتصلي بمنزلك. قولي إنك ستبقين لبضعة أيام.

ثم احتضنها بين ذراعيه بلطف ورقة بالغة وهمس:

ـ لا أريد فراقك.. حبيبتي. ليس بعد.

في اليوم التالي، اتصلت بوالدها، تقدم له بعض الأعذار في محاولة لإقناعه بتلبية طلبها.

كانت تشعر بحاجة للبقاء مع توني، ولن تحتمل مغادرة المكان الآن..

كانت تعلم أن توني معجب بها... وإلا لماذا كان يقضي كل هذا الوقت معها؟ لكنها تتمنى لو أنه يُظهر هذا الإعجاب بشكل علني أكثر. كان متحفظاً في إظهار مشاعره نحوها. فكانت تصرفاته معها تخلو من العاطفة الحقيقية وتتركها في حيرة دائمة.

ومن الأمور الأخرى التي كانت تقلقها أنها أرادت أن تبدو رائعة في نظر توني في الحفلة، لكنها كانت تعي أنه شاهد كل الثياب التي أحضرتها معها.. ولم يكن بينها أي شيء رائع.

حين سألتها تيفاني بعفوية عما تنوي ارتداءه، اعترفت بأنها لا تدري، فوجدت نفسها فوراً في غرفة تيفاني، تواجه مجموعة كاملة من الثياب التي تراها رائعة على الآخرين.

ـ هو معجب بك بكل تأكيد.

وتنهدت قائلة: لا أظن هذا.

ـ هذا كلام سخيف.. إنه لا يتركك وحدك أبداً.

تنهدت فوبيي مرة أخرى:

ـ في الواقع.. إنه معجب بي.. يعاملني بلطف وحذر كأنني من زجاج، وقد أنكسر.

ـ لن يفعل هذا إذا شاهدك بهذه الثياب.

ـ لكنه لن يراني.

ـ بالطبع سيراك. أتعرفين.. تكمن مشكلتك في أنك ترسلين الذبذبات الخاطئة... فثيابك، وكلامك، وطريقة تقديم نفسك إلى الآخرين، تبعد الناس عنك والشبان مثل توني، يلتقطون هذه الذبذبات. لذا، يوم الجمعة، ستعطينه إشارة تقول «أنا هنا» ولسوف أساعدك.

نظرت إليها فوبيي بخجل.

ـ هل أنت واثقة؟ كيف ذلك؟ لكني ظننت.. أنك وتوني..

ضحكت تيفاني.

ـ هذا صعب.. كل ما في الأمر أن أحدنا يعرف الآخر جيداً جداً..

تفحصت فوبيي بابتسامة راضية، ثم أكملت:

ـ ضعي نفسك بين يديّ.. وسوف تقتلعين عينه يوم الجمعة.

لم تستطع فوبيي أن تصدق ما تراه عيناها حين نظرت إلى نفسها في المرآة أخيراً، مساء الجمعة. كان شعرها مخفياً تحت شعر أشقر مستعار يتدلى إلى الكتفين، بدت عيناها كسولتين مثقلتين بالكحل، وشفتاها تلمعان بلون أحمر قاتم، وشرير.

قالت تيفاني: تبدين كأنك مادونا أكثر من مادونا نفسها.

خاب أمل فوبيي حين نزلت إلى الطابق الأرضي، واكتشفت أن توني قد سبقها إلى الحفلة مع بعض الرفاق الآخرين.

وسألت تيفاني:

ـ حفلة من هي.. على أي حال؟

هزت تيفاني كتفيها بغموض.

ـ المجموعة المعتادة.. لا تشغلي بالك بهذا.

توقعت أن يكون الديكور في ذلك المنزل شبيهاً بما رأته في منزل تيفاني.. لذا كان «فورت فيتون هاوس» مفاجأ سارة لها.. توقفت قليلاً عند درجات المدخل، تتنشق عطر الزهور التي تملأ الجرار الحجرية الموزعة على جانبي الباب

Scanné avec CamScanner

الأمامي.

وقرصتها تيفاني بلطف:

ـ هيا.. هناك رجل جائع ينتظرك في الداخل.

وكانت ردة فعل توني عند رؤيتها كما تتمنى.

تمتم وعيناه تحدّقان:

ـ رائعة تماماً.

واقترب منها: تيف.. أنت عبقرية.

سمعت تيفاني تقول ضاحكة: ما تبقى الآن، يعود إليك.

أمسك توني بيد فوبيي وأخذها إلى إحدى الغرف.

ـ ماذا تريدين أن تشربي؟

ـ عصير برتقال.

ـ أي شيء تأمرين به أميرتي.

ثمّ ندمت على ما طلبت، لأن طعم العصير كان غريباً.. ولو تسنّت لها الفرصة، لسكبته في أحد الأحواض في غرفة الاستقبال. لكن توني كان قريباً منها طوال الوقت.. أما كأس العصير التالي، فلم يكن طعمه سيئاً فعلاً، والذي تلاه كان لذيذاً في الواقع.

سألت توني وهما يرقصان: حفلة من هذه؟

ـ شاب أعرفه.. إنه عيد ميلاده، لذا فكرنا في أن نفاجئه.

أصيبت فوبيي بالحيرة!

ـ أوه.. أي من الموجودين هو؟

ـ لم يصل بعد.. اضطر للذهاب إلى عشاء عمل أولاً.. لكنه سيأتي في ما بعد، وستقابلينه.. أعدك بهذا. في هذه الأثناء.. ركزي تفكيرك علي.

أطاعت فوبيي برضى تام.. لم تحلم يوماً بأن تحيا هذه اللحظات.. وبأن توني سوف يضمها إليه بمثل هذا الحب والحنان.

كانت ليلة حارة، وقد اكتظت الغرفة بالمدعوين، لذا كانت فوبيي ممتنة

لتوني لاستمراره في تقديم الشراب البارد لها.

في الواقع، كانت الغرفة شديدة الحرارة، وشعرت برأسها يدور وساقيها تتصرفان بغرابة، وبدا صوتها غريباً.. كأنه آت من البعيد، يتردد صداه في أرجاء الغرفة.

ـ أأستطيع الجلوس قليلاً؟

ـ أوه.. بإمكاننا أن نفعل شيئاً أفضل من هذا.

وكانت ذراعه تمسك بها كقضيب حديدي يلف خصرها وهما يصعدان السلم.

ـ إلى أين؟

ـ سآخذك إلى مكان يمكنك الاستلقاء فيه. فالمكان هنا أكثر برودة، وستشعرين بالتحسن فوراً.

فتح باباً.. وبدا السرير الكبير المغطى بالقماش المنقوش الذي كان يلفّ الغرفة، كأنه يترنح أمامها.. وقال توني بابتهاج:

ـ غرفة النوم الرئيسية.. غرفة نوم سيد المنزل.. لا نحتاج الآن سوى إلى السيد.

أحسّت بالفراش طرياً ناعماً كالغمام وهي تتمدد عليه.. وقالت متلعثمة: إنه يبدو كمذبح دموي.

ـ إذن دعينا نقدم الضحية العذراء.

لم يكن للكلمات أي معنى بالنسبة إليها، فاستلقت دون حراك مستسلمة للدوار الذي ألمّ برأسها.

قال بخشونة: أوه.. كم تبدين جميلة.. صدقيني.

ـ لم يكن هذا اتفاقنا.. ألا تذكر؟

بدا لفوبيي أنها تسمع صوت تيفاني.. وفتحت عينيها، فبدأت الغرفة تتضح ببطء. فوجدت أناساً يقفون حول السرير.. ورأت أفواههم تبتسم، لكنها لم تتعرف إلى الوجوه. وأخذت الغرفة تدور وتدور بسرعة.. فتمتمت:

ـ اجعلها تبطىء.

Scanné avec CamScanner

ـ أي شيء تقولينه أميرتي.

عانقها توني بقسوة آلمتها، فحاولت الابتعاد.. وعاد صوت تيفاني.

ـ أنت تضيع الوقت.

أحست بأيد أخرى تمسك بها.. فقاومت باحتجاج ضعيف.

ـ هيا الآن تيف.

ردت تيفاني بسرعة وحقد: أنت تمزح!

همست فوبيي بذهول متلعثم: توني.. ما الذي يحدث؟ أين أنت؟

سمعت صوته.

ـ أنا هنا.. أغمضي عينيك أميرتي.

كانت مسرورة بأن تطيع، وأبعدت عنها الوجوه المحدقة.. فتوقفت الغرفة عن الدوران مما أشعرها بنوع من الارتياح.

لكنها أحست بجفاف فمها. فمررت لسانها على شفتيها.

ـ أنا.. أريد أن أشرب.

ـ لن نقدم لك شراباً أميرتي، فنحن لا نريدك أن تفقدي الوعي في لحظتك العظيمة هذه.

تساءلت بحيرة عما يقصده.. لم يعد من شيء له أي معنى. كل ما تريده الآن هو أن يبتعد الجميع عنها، وأن يأخذها توني بين ذراعيه، بكل بلطف، كما كان يفعل في الماضي.

بعد قليل بدا أن الهمس والضحك قد تلاشيا.. ليحلّ الصمت والظلام محلّهما.

فكرت فوبيي: أريد أن أتوقف هنا، ولفت أطراف روبها حولها وهي ترتجف.. لا أريد أن أتذكر أي شيء آخر.. لكن، يجب أن أتذكر، يجب أن أتعامل مع ما حدث.. مع كل شيء.. مرة وإلى الأبد.

عندها فقط أستطيع أن أكمل ما تبقى من حياتي.. لكن، أولاً.. أولاً.. يجب أن أفكر بدومنيك.

***

LOVE_Shades

٤ ـ لست ساقطة

شعرت فوبيي في البداية بالراحة للاستلقاء في الهدوء والعتمة.. وأحست برأسها خفيفاً كأنما انعدم وزنها، وهي تطوف فوق محيط متأرجح لا نهاية له. وفكرت وقد أصابها الدوار.. قريباً.. قريباً سيعود توني. فاستلقت إلى الوراء على الوسائد، تبتسم لنفسها.

سبَّب سطوع الضوء المبهر فوق رأسها صدمة جسدية لها. فرفعت نفسها عن السرير، تنظر إلى الباب.

لم يكن توني.. بل شخصاً غريباً تماماً يرتدي سترة رسمية، وقميصاً أبيض، وربطة عنق سوداء مثبتة في مكانها بدقة.

كان رجلاً طويلاً، ذا شعر أسود وعينين رماديتين باردتين كسماء شهر كانون الثاني، رجلاً يقف هناك كأنما أصيب بالشلل.. وبدا مصعوقاً كما كانت هي.

طافت نظرته عليها.. ثم قال ببطء وبفظاظة:

ـ ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟

عادت الغرفة للدوران مرة أخرى.. فحدّقت خلفه بذعر.. تبحث عن توني.. عن أي أحد غير هذا الرجل المجهول الذي ينظر إليها كأنها قذارة. كأنه يحتقرها.

ثم رأت نفسها في المرآة الطويلة قرب الباب، رأت نفسها.. كما يراها هو.. مظهرها أشعث ووجهها القابع تحت الشعر الأشقر المستعار قد احمرّ لونه وتلطخ بمساحيق التجميل والتبرج.. رأت فتاة لا تكاد تعرفها.. لكنها

Scanné avec CamScanner

علمت أنها هي نفسها.

تقدم نحوها خطوة. فانكمشت، وأمسكت ملاءة تغطي نفسها بها.

ـ قلت.. ما الذي تفعلينه هنا؟ ومن أنت؟

تمتمت وقد جفت حنجرتها.

ـ فويبي.. أنا فويبي.. توني.. جاء بي إلى هنا.

قال بمرارة: كان يجب أن أعرف. حسن جداً.. أنت تضيعين وقتك.. فأنا بغنى عن القذارة التي من نوعك! هيا انهضي عن السرير! اخرجي من هنا.. أيتها الفاسقة، قبل أن أرميك إلى الخارج.

عَبرَ الغرفة ليفتح باباً آخر. ورأت فويبي أرضية لامعة، وطرف مغطس.. ثم تابع كلامه:

ـ هيا اخرجي من هنا.. لا أريد أن أراك.

عجزت عن الحراك.. وشلّها من الرعب.. كان يجب أن تقول شيئاً.. أن تشرح له أن هذا كله ما هو إلاّ غلطة شنيعة.. لكن الكلمات خانتها.. ولم تستطع إلا التحديق به بعجز.

أساء فهم صمتها.. ووجدت نفسها تُجر من ذراعها بقسوة من السرير، وتُدفع بشراسة.

وقال لها: كفى تلاعباً.. هيا اخرجي والا اتصلت بالشرطة.

صفق باب الحمام وراءها. فنظرت فويبي إلى وجهها ورأسها المشعّث في المرآة، وأحست فوراً بالغثيان. فأسرعت تدخل الى الحمام.

قالت بصوت وجل: سأذهب بعدما أدخل الى الحمام.

وهرعت الى الحمام لا تلوي على شيء.

لم تشعر يوماً بمثل هذا السقم.. بدت كل موجة من القيء أكثر مرارة من التي سبقتها وأكثر غزارة.. بقيت متمسكة بكرسي المرحاض.. تتنفس بضعف.

أخيراً وقفت على قدميها، ورشت وجهها بالماء البارد.. وحثت نفسها

على الإسراع خوفاً من الشرطة.. وتصورت والدها ووجهه المذعور إن هو تعرض لمثل هذا الإذلال الأشد وطأةً عليه.

جهزت أخيراً، واستعدّت للمواجهة.. فابتلعت ريقها بقوة. وفتحت باب الحمام ببطء ونظرت إلى الغرفة. كانت فارغة.. وقد اختفى كل ما كان على السرير، حتى الوسائد والأغطية.. لقد ذهبت دون شك إلى التنظيف من الدنس. أسندت نفسها على إطار الباب، تكافح موجة غثيان أخرى.

كان المنزل هادئاً بشكل مخيف. صمتت الموسيقى، وكل الأصوات الأخرى. أين ذهب الجميع؟ واضطرت مرة أخرى للمقاومة، لكنها أحسّت بالذعر.

كان ينتظرها في الردهة، وقد بدا وجهه الغاشم كأنه منحوت من حجر.

ـ أين الآخرون؟

فكرت مخدرة الأحاسيس.. رحلوا؟ وتركوها خلفهم! لكن.. لا يمكنهم فعل هذا..

سألت: من أنت؟

ـ ألم يقولوا لك؟ أنا دومنيك آشتون.. وهذا المكان الخرب.. الذي تهمّين بمغادرته.. هو منزلي.

رمى إليها بحقيبة يدها: ولا بد أن هذه لك.

ثم تقدم من الباب وفتحه، ليدخل منه نسيم الليل البارد.. فارتجفت فويبي رغماً عنها. وقال بصوت مزدر كريه:

ـ هذه نصيحة لك.. في المرة القادمة التي تخرجين فيها لتمارسي.. ألاعيبك.. حاولي البقاء صاحية.. فهذا سيترك انطباعاً أفضل على «الزبون».

ردت بخشونة: أنا لست.. كما تعتقد.

لوح بيده بنفاد صبر:

ـ أنت بالتأكيد لست ماهرة في هذا. والآن اخرجي.

كانت تعرف بالضبط ما تحتويه حقيبتها.. أحمر شفاه، مشط، منديل، وبضع نقود معدنية.

www.rewity.com

Scanné avec CamScanner

ـ لكن كيف سأعود؟ لا أملك وسيلة نقل. . وليس معي معطف.

ـ هذه مشكلتك. . أعتقد أنك قبضت ثمن. . . خدماتك هذه الليلة. وهناك كشك هاتف في القرية، مع أسماء مؤسسات سيارات الأجرة المحلية.

قالت بائسة: أنا لست امرأة فاسقة. . أقسم أنني لست هكذا. . أنا. . أنا كنت مع توني. . ولم يعطني أحد مالاً.

ساد صمت متوتر. . ثم مد يده إلى داخل سترته، وأخرج محفظة نقود تناول منها ورقة بعشرين جنيهاً، رماها على السجادة أمامها. وقال بلهجة مهينة: هذا مقابل الترفيه.

أرادت أن تضربه، أن تهاجمه بأظافرها لتمسح السخرية عن وجهه. . لكنها لم تستطع أن تفعل بكل بساطة. . وعليها أن تتقبل هذا الإذلال الأخير منه.

أخذ كل جزء من بشرتها يرتعش وهي تنحني لالتقاط النقود. . ثم سارت برأس منحنٍ، وتجاوزته بسرعة لتخرج إلى الظلام، وتسمع الباب يُصفق وراءها.

أحست فوبي بالدموع تنهمر على وجهها، فرفعت يدها تمسحها بطريقة غاضبة. لم تبك يومها. . فلماذا تسمح لنفسها بمثل هذا الضعف الآن؟

وخطر لها أنه لا بدّ من البكاء على البراءة التي فقدتها جراء القسوة التي تعرضت لها.

لم تذكر الكثير من رحلة عودتها إلى منزل آل بيشوب. . ما عدا أن سائق التاكسي كان رجلاً مسناً عاملها بمزيج من اللطف والاستهجان.

مر اليوم التالي بمعظمه وهي مريضة، ثم حين خرجت من غرفتها، وجدت نفسها هدفاً لملاحظات حادة حول البلاهة التي تصرفت بها، في وقت لم تكن فيه قادرة على التعامل مع الموقف، كما قالت والدة تيفاني.

قالت لها ببرود: أنا مندهشة منك فوبي. . ظننت أن لك عقلاً راجحاً أكثر من هذا. . وإذا كانت هذه طريقتك بالتصرف. . فمن الأفضل أن تعودي إلى منزلك. فلن يكون تأثيرك إيجابياً في تيفاني.

كانت فوبي تشعر بدمار شديد عجزت معه عن الرد أو الدفاع عن نفسها في وجه هذا التهجم. . وسرعان ما اكتشفت أن توني قد اختفى.

قالت لها تيفاني بسخرية: وهل ظننت حقاً أنه معجب بك؟ لقد كان بحاجة إلى شخص ليكمل اللعبة التي يلعبها على دومنيك. . وكنت أنت مسلوبة بشكل واضح، وجعلت كل شيء سهلاً له.

من الواضح أنني جعلت كل شيء سهلاً له.

ـ ولماذا يفعل هذا؟

كان عليها أن تسأل. . والألم يعتصر رأسها بشدة. وأحست كأنها تلقت ركلة في معدتها. عرفت أن من وثقت بهم حطوا من قدرها، وجعلوها تبدو حمقاء، وسمحوا للغريب بأن يعنفها بكلام بذيء مهين.

هزت تيفاني كتفيها: لم يتحايا يوماً. . وكان دومنيك يحتفل بعيد ميلاده في عشاء مع صديقة دراسة قديمة جميلة. ففكر توني في إضفاء الحياة على هذه المناسبة.

ضحكت، ثم أكملت: حين غادرنا جميعاً ترك له رسالة تقول: عودة سعيدة. . هدية عيد ميلادك على فراشك. . وتمنينا فقط، لو كنا هناك لنرى وجهه حين وجدك، أو وجهك، حين رأيته. . . يا إلهي! ما أشد سذاجتك فوبي. . قد تكونين الوحيدة التي لم تعرف أنه دس لك المخدر في عصير البرتقال.

وافقت فوبي شاحبة اللون:

ـ أجل. . ساذجة هي الكلمة المناسبة.

نظرت تيفاني إليها بارتياب: أخبريني. . هل حاول دوم العجوز شيئاً معك؟ أم أنك كنت مخدرة بحيث لم تلاحظي.

ـ لا. . لحسن الحظ. . لم يبد أي اهتمام بي أكثر من اهتمام توني.

ونظرت مباشرة إلى عيني تيفاني. . التي سارعت إلى خفض عينيها بانزعاج.

لكنها قالت بعد برهة: أنا أحذرك. . لا تحاولي الإفشاء لأحد بهذا الأمر. فستكون كلمتنا جميعاً ضد كلمتك. . ووالداي يصدقان أنك كنت في حالة لم نستطع معها المجيء بك، فتركناك وراءنا، وأنا واثقة أنك لا تريدين للخبر أن

Scanné avec CamScanner

ينتشر.

قالت فوبي بهدوء: لا.. لا أريد هذا.

بدا الارتياح واضحاً على تيفاني:

ـ كنت أعرف أنك راجحة العقل. ويجب أن تكوني ممتنة لنا.. على الأقل، لن تكوني ساذجة إلى هذا الحد في المستقبل.

نهضت عن السرير، وسارت نحو الباب.. وردت فوبي ساخرة:

ـ سأتذكر هذا دائماً.

ولم تتمكن قط أن تشعر بالامتنان، لكنها قامت بما في وسعها لتنسى الحادثة المؤسفة كلها.. ولكي تتظاهر أن ما مر بها هو تجربة عابرة، وأنها شفيت. في الواقع لم تعد تيفاني إلى المدرسة في أيلول بل سافرت إلى إسبانيا مع والديها، مما ساعدها كثيراً على النسيان.

لكن الأحلام لم تراودها تلك السنة، بل بعد بضعة أشهر.. الأسوأ في الأمر، أن هذه الأحلام كانت تزداد سوءاً كلما تكررت محاولاتها لدفنها في عقلها الباطن. كانت تخشى أن تمعن التفكير في ما حدث، وأن تواجه الحقيقة المريرة. كان السبب في ذلك يعود إلى عدم وجود شخص تفضي إليه بسرها..

كانت صغيرة ضعيفة.. وقد عوملت بقسوة على يد توني، ودون رحمة على يد دومنيك آشتون.

فكرت بغضب احمّر منه وجهها! هدية عيد ميلاده.. في فراشه.

كان يومها متزوجاً.. ولو كانت سبرينا معه حين وجدها، لجلب ذلك متاعب جمّة. لقد كان هذا أكثر سوءاً من مجرد مزحة سمجة.. إنه أذى متعمد حقيقي.

لكن زواجه تحطم على أي حال، ولقد حملت متاعبي طوال هذا الوقت. لكن، الآن واجهتها وأخرجت السم من جسدي..

حتى وإن بدا الأمر مستحيلاً، فإن مقابلتها لدومنيك آشتون هكذا، كانت نوعاً من الترياق. ولم تكن بالطبع قد رغبت يوماً في رؤيته مجدداً..

وقفت مفكرة.. سأنام الليلة دون أحلام.

كان وجه السيدة بريستون متجعداً من اللهفة:

ـ أنا آسفة عزيزتي.. لكنني قلت لك إنها وظيفة مؤقتة..

ابتسمت فوبي لها: أجل.. لقد قلت لي هذا.. وفهمت.. ولا بأس أبداً. أنا مسرورة أن دبي أصبحت بصحة أفضل.

لم تكن صادقة في ما قالته وحاولت تجاهل لاين التي وقفت خلف السيدة بريستون تكشر وجهها في سخرية.. وأوضحت السيدة بريستون:

ـ لا أريدك أن تتركي العمل فوراً.. فالمسكينة ديبي لم تستعد كل قوتها بعد، لذا يجب أن لا تتعب نفسها.

ابتسمت فوبي، وذهبت لإعداد الطاولات للغداء.

بالنسبة إلى فتاة باتت الآن عاطلة عن العمل، كانت فوبي تحس بالابتهاج. سوف تعطي هانسون الكريه إنذاراً بتركها المنزل في نهاية الأسبوع. وما أن تدعها السيدة بريستون تذهب، حتى تترك ويستكومب.. بعد ذلك.. سيكون العالم كله ملك يديها.

لم يكن اليوم مرضياً.. بل بارداً وممطراً، وكان المقهى خالياً من الزبائن. فأنت فوبي تدفىء نفسها بفنجان شاي حين دندن جرس الباب معلناً عن وصول زبون.

قالت لاين وهي تنظر عبر النافذة المستديرة في باب المطبخ:

ـ إنها طاولتك.. أيتها العفريتة المحظوظة.

ـ مضحك جداً.

ـ أنا لا أمزح.. إنه رائع وهادىء.

لوت فوبي عنقها: دعيني أرى.

تراجعت إلى الوراء، وشعرت بوجهها يشحب.. قالت وهي تحاول الحفاظ على هدوء صوتها.

ـ إذا كنت ترينه جميلاً جداً.. فخذيه أنت..

ردت لاين على الفور: اتفقنا.

لكنها عادت على الفور.

Scanné avec CamScanner

ـ ماذا يجري فويبي؟ لقد سأل عنك . . أتعرفينه؟

عضت فويبي شفتها : لقد تقابلنا . . ولا أريد إعادة التجربة .

ربتت لاين على ظهرها : لكنه يريدك . . كما هو واضح . هيا اذهبي . . بطتي . .

كان دومنيك آشتون يجلس وهو ينظر إلى لائحة الطعام حين تقدمت فويبي منه . وهز لها رأسه بطريقة رسمية .

ـ مرحباً مرة أخرى آنسة غرانت .

سألت بهمس شرس :

ـ ماذا تأمل أن تكسب من هذا تحديداً سيد آشتون؟

ـ بالدرجة الأولى ، بعض الغداء . . هل تنصحيني بالمعكرونة والجبن؟

قالت ببرود : كل الطعام عندنا رائع . . لكنني أردت معرفة السبب وراء طلبك لي؟

ـ أحمل دعوة من تارا . . تريدك على العشاء هذه الليلة .

كتبت طلبه بسرعة .

ـ أخشى أنّ هذا غير ممكن . . هل آتيك بشيء تشربه؟

ـ إبريق قهوة . . ولماذا هو مستحيل؟ لقد بذلت جهداً لتتصادقي مع الصغيرة على أي حال .

أجل . . لكن قبل أن أعرف أنها ابنتك .

ردت باختصار : أنا مشغولة الليلة .

ابتسم ساخراً : لا تقولي لي . . يجب أن تغسلي شعرك .

ـ آه . . وهل يبدو أنّ شعري بحاجة إلى الغسل؟

ـ أبداً . . لكن هذا هو العذر المعتاد .

تراجع إلى الوراء في كرسيه . . وعيناه الرماديتان مترقبتان :

ـ هل تبدّلين رأيك إن قلت لك إنني لن أكون هناك؟

قالت : لا . . لا فارق في هذا . . لكني أظن أن من الأفضل أن لا أرى تارا مرة أخرى .

ـ الأفضل لمن . . ؟ ليس لتارا بالتأكيد . فبالنسبة إليها ، أنت وعدتها ، والوعد مقدس . . وكما قلت لك ، لقد وصلنا إلى هنا منذ فترة قصيرة . . وتارا تجد صعوبة في الاستقرار وإقامة صداقات جديدة في المدرسة . . وستبقى وحيدة دون سندي .

قالت بغضب : هذا يُعدُّ ابتزازاً عاطفياً .

ـ الحقيقة هي كذلك . . لكن إن كنت غير قادرة على إعطائها ساعتين ، فلا شيء يقال أكثر من هذا .

ترددت قليلاً : أنت لن تكون هناك . . قطعاً؟

ـ سأتناول العشاء مع الآنسة سنكلير .

تنهدت : حسن جداً . . سأذهب من العمل فوراً .

ـ لا . . سنأتي لنأخذك .

انفرجت شفتاها في احتجاج ، فسارع لإكمال كلامه :

ـ تارا تصر على هذا .

أحست فويبي أنها كانت فريسة للمراوغة ، لكن لم يكن من مفرّ .

سأقوم بهذه الزيارة الوحيدة ، لكنها ستكون الأولى والأخيرة . . ولن أقوم بأي وعود متسرعة بعد الآن .

كانت لاين تنتظر على أحر من الجمر : من هو؟

هزت فويبي رأسها : إنه والد الفتاة الصغيرة . . التقيت به حين أخذتها إلى منزلها تلك الليلة .

وكزتها لاين : ربما يريد أن يعطيك مكافأة .

هزت فويبي رأسها : إنها تارا . . تدعوني على العشاء .

تناول دومنيك آشتون غداءه برضى ظاهر ، وترك بقشيشاً سخياً مع فاتورته . ووضعت فويبي المال فوراً في وعاء لاين .

حان وقت الإقفال . . فغسلت فويبي وجهها ويديها في غرفة ملابس الموظفين ، ثم أرخت شعرها من الرباط المطاطي ، ومشطته . ثم وضعت قليلاً من أحمر الشفاه ، وتفحصت نفسها بارتياب في المرآة .

Scanné avec CamScanner

فتحت لاين الباب ودخلت لتأخذ معطفها، معلنة:

ـ مرافقك ينتظر.. من الجيد أن أراك تعتنين بنفسك ولو لمرة واحدة.

وغادرت المكان راضية.

أعتني بنفسي؟ أوه.. يا إلهي.. ليس كما تعنيه مرة أخرى.

أفلتت شعرها مجدداً، وأرجعته إلى الرباط المطاطي خلف عنقها، ومسحت شفتيها بمنديل ورقي.. ثم ارتدت معطفها والتقطت حقيبتها وخرجت ببطء من المقهى.

سألتها السيدة بريستون التي وصلت لتأخذ المال من الصندوق:

ـ خارجة هذا المساء.. عزيزتي؟ امضي وقتاً ممتعاً.

ردت فويبي ابتسامتها بتردد ظاهر.. وكان دومنيك آشتون ينتظر عند الباب وتارا تقفز إلى جانبه.

فكرت فويبي.. إنها سعيدة جداً لرؤيتي.. أحست بفكّها يرتفع لا إرادياً في استجابة للصغيرة وابتسامتها العريضة..

دست تارا يدها في يد فويبي:

ـ سنتناول الليلة فطيرة الراعي الخاصة، وحلوى بالمربى.

ضحكت فويبي: لا أستطيع الانتظار.

ـ ولقد ساعدت في تحضير المائدة. وسنشعل الشموع، مثلما يفعل دادي.

قال دومنيك شارحاً: حجزت في مطعم «كلير دولوف».

ردت فويبي بثبات: سمعته جيدة.

وأدركت أنها لا ترغب في سماع شيء عن التحضيرات التي قام بها لتناول عشاء رومانسي.

ثم فكرت بصمت.. إنه مطلق.. وله الحق. كان من المحتمل أن أكون أنا المتجهة إلى عشاء على ضوء الشموع، لو أنني لا أسبب «النفور» لكل رجل يقترب مني.

رمقته بنظرة جانبية سريعة وهما يتجهان إلى سيارته الرانج روفر.. كان يرتدي بنطالاً بلون الدخان، مع كنزة مماثلة، فوقها سترة أنيقة من الكشمير..

لم يكن هناك مجال لإنكار جاذبيته. أدركت ذلك بإجفال مفاجيء.. فحوّلت اهتمامها إلى ابنته.

أخذت تارا تثرثر بابتهاج عن مدرستها، ولكنها لم تذكر شيئاً عن زملائها.

كانت فويبي تركز بشدة على ما تقوله تارا، بحيث أنها لم تنتبه إلى خفقة الارتباك داخل صوتها حين بدأت السيارة تستدير بهم عبر بوابات المنزل.

قالت تارا بدهشة عند رؤيتها السيارة المتوقفة في الخارج:

ـ أوه.. لدينا زوار..

فتحت لهم كاري الباب.. وقد بدت متكدرة:

ـ آنسة سنكلير هنا سيدي، إنها تنتظر في غرفة الاستقبال.

كانت هايزل سنكلير تقف قرب النار، وقدمها على الحاجز النحاسي، تحدق ساهمة فيها.. كانت ترتدي تنورة مكسرة من قماش الجورجيت الأزرق الثلجي، وبلوزة مماثلة.

وقفة ممتازة.. ووبخت فويبي نفسها على هذه الملاحظة الخبيثة.

استدارت هايزل مبتسمة عند دخولهم.

ـ دومنيك حبيبي... أجل، أعرف أنه من المفترض أن تمرَّ بي لتقلني من منزلي، لكنني تلقيت رسالتك بأنك قد تتأخر قليلاً، وأرادت «مامي» أن أقوم لها بمهمة في القرية.. لذا، ها أنا..

تجاوزته عيناها الزرقاوان بحدة:

ـ مساء الخير تارا.. مساء الخير آنسة...؟

ردت فويبي: غرانت.

أطلقت ما يشبه ضحكة: طبعاً.. هل سنتناول الطعام هنا إذن؟

ارتفع حاجبا دومنيك!

ـ لا.. لقد حجزت طاولة في مطعم «كلير دولوف».. لماذا تسألين؟

هزت كتفيها بأناقة: ظننت أن الآنسة غرانت هنا، لتساعد كلير في خدمة المائدة.

قالت فويبي بصوت ناعم: لا لسوء الحظ.

Scanné avec CamScanner

وفكرت بالسعادة التي قد تشعر بها وهي تسكب الماء الساخن على ثوبها.

وتدخلت تارا دون ابتسام: فوبيي ستتناول العشاء معي.

ـ أوه.. يا عزيزتي.

وتعالت تلك الضحكة مرة أخرى، وجعلت أسنان فوبيي تشد على بعضها بتوتر، وأكملت هايزل: وهل ارتكبت غلطة ما..؟ في الواقع كنت أفكر بكاري.. بدت لي تعرج متعبة حين وصلت.. وأقلقني الرومانتيزم عندها.

قال دومنيك باختصار:

ـ تدعي كاري أن صحتها جيدة.. ولا يعجبها أي اقتراح معاكس.

أحنت هايزل رأسها ساخرة: إذن.. شفتاي مقفلتان.

قالت فوبيي بصوت مرتفع لتارا:

ـ هيا بنا صغيرتي.. دعينا نذهب لنجد عشاءنا..

أخذت تارا تتذمر وهما تصعدان السلم:

ـ أنا لا أحبها، بريجيت ثومسون تقول إن أمها تقول، إنها ستكون أمي الجديدة.. وأنا لا أريدها.

قالت فوبيي: ولكن هل تريدين أن يعيش والدك وحيداً؟

قالت تارا ساخطة: ليس وحيداً.. فأنا معه.

ـ أجل.. لكنك عادة تأوين إلى الفراش في السابعة والنصف، وهذا يعني أنه لا يبقى من يتكلم معه طوال المساء.

فكرت فوبيي هل من الممكن حقاً أنه يخطط للزواج من هذه المرأة البغيضة؟

وإن يكن.. لماذا قد يهمني هذا بحق السماء؟ شعرت بالاضطراب وهي تحاول عبثاً العثور على إجابة مرضية عن هذا السؤال.

***

LOVE_Shades

٥ ـ لن أعود...

كانت فطيرة الراعي لذيذة، مع لحم الحمل المفروم والخضار ومرق اللحم الكثيف.. أما حلوى المربى مع القانيليا فكانت تذوب في الفم.. وكان مديح فوبيي حاراً حين جاءت كاري لتنظف الطاولة.. ورأت فوبيي الوجه الصارم يلين. وقالت:

ـ إنه طعام خاص بالأولاد آنسة.. لكن من اللطف أن تستحسنيه.. لم تكن سندي ترغب بشيء سوى «الستيك».

سألت فوبيي بدبلوماسية:

ـ أيمكن أن أساعدك في حمل الأواني إلى المطبخ؟

ـ باركك الله.. لا داعي لهذا.. هناك غسالة صحون في المطبخ الصغير هنا، مما يوفر الصعود والنزول بالصواني والصحون. والدة السيد دومنيك طلبت وضعها هنا.

لحقت بها فوبيي تساعدها في وضع الصحون في الغسالة:

ـ أوه.. وهل لا تزال حية؟

ردت المرأة بأسى حاولت إخفائه:

ـ لا آنسة.. رحلت والدته كذلك. لكن زوجة أبيه ما زالت حية..

ـ هل.. السيد دومنيك.. يتفق معها؟

ـ يحاول جهده، لأجل ذكرى أبيه. لكنها سيدة لا تهتم سوى بنفسها.. كذلك ابنها المزعج ذاك..

www.lewity.com

Scanné avec CamScanner

تنهدت كاري قليلاً ثم تابعت:

ـ أتمنى أن يستقر هنا حين يتزوج، كما أرجو، لكن الآنسة سنكلير تفضل الإقامة في لندن بسبب عملها.

قالت فويبي بلطف: حسن جداً.. هناك الآن تارا!

ـ أجل.. لكن إلى متى..؟ لقد تخلّت الآنسة فان للسيد دومنيك عن حضانة ابنته لأن هذا يناسبها، ولكن هذا ليس أمراً نهائياً..

هزت رأسها: أوه.. لا.. وسندي تلك سببت له المزيد من المتاعب.

ـ هل خرجت من المستشفى؟

ـ أجل، وتعيش مع صديقها في شقته.. السيد دومنيك يتصل بكل وكالات التوظيف، محاولاً إيجاد مربية أخرى، لكن الجميع يقول الشيء عينه.. ولا أمل في العثور على فتاة مناسبة قبل السنة الجديدة. وماذا سيحدث من الآن إلى ذلك الوقت؟

قالت فويبي: أنا واثقة أن الأمور ستجد طريقها إلى الحلّ.

ولم تستطع أن تصدق أنها تقف هنا تناقش تفاصيل حياة دومنيك آشتون، وخططه المستقبلية، مع مديرة منزله.

تداركت نفسها: أنا لست مهتمة..

أجبرت نفسها على الابتسام.

ـ أما الآن، فمن الأفضل أن ألعب مع تارا لعبة الحية والسلم، بينما الفرصة متاحة لي.

حين عادت فويبي إلى غرفة لعب الطفلة قالت لها تارا ساخطة:

ـ لقد تأخرت كثيراً.. سآخذ الحجر الأحمر.. وخذي أنت الأزرق.

جلست فويبي إلى جانبها على طاولة مربعة كبيرة، وبدأت اللعبة.

بانتهاء اللعبة، وجدت فويبي مجموعة من ورق اللعب.. فلعبتا بصخب. ثم ظهرت كاري بعدها لتقول: لقد حان وقت حمام تارا.

عندما رأت فويبي كم تعاني كاري مع الفتاة، وجدت نفسها تشارك في حمام تارا.. لتبللا المكان في فوضى عارمة باستخدام ألعاب مطاطية.

قالت تارا بصدق وكاري تلفها في منشفة كبيرة: هذا أفضل حمام..

كانت سندي تقول دائماً «أسرعي بحق الله».

وجدت فويبي الصفحة المنشودة في الكتاب.

ـ قصة واحدة، ثم تخلدين إلى النوم.

هزت تارا رأسها: يجب أن أنتظر دادي ليتمنى لي ليلة سعيدة.

عضت فويبي شفتها:

ـ المشكلة صغيرتي، أن دادي خرج لقضاء الأمسية، وهو لن يعود حتى وقت متأخر.

ـ لكن دادي يعرف أنني أنتظره.

ـ أجل.. وهذا أمر يسعده جداً.. لكن لديه حياته الخاصة.. وهي ليست معك في هذا المنزل.

ـ ألا يريدني؟

لفّت فويبي ذراعيها حول الجسم الصغير.

ـ بالطبع يريدك.

ـ مامي لم تردني.. أم بريجيت تقول هذا.

تصلبت يدا فويبي بشدة، تتخيّلهما حول عنق أم بريجيت.. وتابعت الصغيرة بصوت ضعيف:

ـ وسمعت سندي تقول إن مامي كانت مضطرة للاختيار بيني وبين الرجل الذي كانت تقابله. واختارته هو.

وجدت فويبي نفسها عاجزة عن إيجاد الكلمات. وتمكنت أخيراً من القول:

ـ أنا متأكدة أن الأمر لم يكن بهذه البساطة.

ساد صمت قصير، ثم قالت تارا: ماذا يحدث لو أن سيدة يقابلها دادي قالت إن عليه أن يختار، واختارها هي بدلاً مني؟

قالت فويبي بثبات: هذا ما لن يحدث.. لأن والدك قام بالاختيار. ولا شيء سيغير هذا.

Scanné avec CamScanner

ـ وكيف تعرفين؟

ـ لأنه يحبك . . ولن يتراجع عن وعد قطعه لمن يحب .

لم تصدق فويبي أنها تتفوّه بهذه الكلمات . . وأنها بالفعل تدافع عن دومنيك آشتون . . ذلك الوحش المسخ الذي دمر حياتها منذ ست سنوات .

عندما اندست فويبي في الفراش راحت فويبي عمداً تخفض صوتها شيئاً فشيئاً . . وقبل أن يعثر الأمير على حبيبته سندريللا ، كانت عينا تارا تغمضان . . ومع نهاية القصة كانت تغفو .

امتدت يد صغيرة تمسك يد فويبي وهي تقفل الكتاب بلطف ، وتمتمت تارا : لا تذهبي .

صاحت فويبي في الفضاء . . هذا ليس عدلاً . . لا أحتاج إليه . . لأي شيء منه .

لكنها بقيت حيث هي ، تراقب وجه الطفلة المستكين ، ثم لمحت من زاوية عينها حركة خفيفة عند الباب وقالت دون أن تلتفت :

ـ كاري . . هل جئت لتجلسي مكاني؟

ـ أنا لست كاري .

خفق قلب فويبي بعنف عند سماعها النبرة المرحة في ذلك الصوت العميق ، واستدارت في مقعدها في ذهول .

ـ عدت باكراً . . لكن هذا غير ممكن .

قال : إذن ، أنا شبح . .

ورأت رغماً عنها الوجه القاتم يلين ليصبح حنوناً إلى حدٍّ مدمِّر وهو ينحني ليطبع قبلة على شعر تارا . كانت تلك نظرة حميمة أخرى بالإمكان الاستغناء عنها .

وتحولت الابتسامة إلى فويبي :

ـ أظن أن بإمكانك مغادرة الغرفة . . قالت كاري إنك كنت رائعة معها . . وهذا مديح حقيقي .

ـ لم يكن الأمر صعباً . إنها طفلة محبوبة جداً .

قال بنعومة : بالرغم من والديها؟ ألم يكن هذا رأيك الصارم؟

لم تنظر إليه :

ـ في الواقع . . ليس هذا من شأني .

أقفل دومنيك باب الغرفة بحذر :

ـ كلام سخيف . . لا بد أن لك وجهات نظر راسخة . . . أراها تنمو وتكبر خلف هذا الوجه الصلب .

ـ حسن جداً . . أظن أن تارا لا تشعر بالأمان .

ـ منذ رحيل سندي؟

ـ قبل أن تأتي سندي . تستحق تارا العناية ممن له خبرة حقيقية ، لا من مجرد هواة . . إنها بحاجة إلى شخص يؤمنّ لها الاستقرار العاطفي . .

صمتت قليلاً تنظر إلى وجهه الغامض : أنت سألت .

ـ أجل . . أنا سألت . . وأنا أوافقك الرأي . . لقد بات هذا الأمر من أولوياتي الحالية .

هايزل سنكلير ، كما أعتقد . . وأحست بانزعاج غريب . . كيف ستكون ردة فعل تارا؟

قالت : أتمنى . . أن تكون قد أمضيت أمسية لطيفة .

قال : نعم كانت أمسية لطيفة .

قالت بعفوية : إذن سأبتعد من الطريق .

ـ لا . . ستتناولين القهوة معنا ، ثم أوصلك إلى منزلك .

ـ لكن الآنسة سنكلير . . .

ـ جاءت بسيارتها ، ألا تذكرين؟ هل من اعتراض آخر؟

الكثير . . من بينها الانضمام إلى الآنسة سنكلير .

كانت ابتسامة هايزل متلألئة وهما يدخلان غرفة الاستقبال وقالت :

ـ ما هذا الإخلاص للواجب؟ أرى أنك تجهدين لكي تصبحي كنزاً لا غنى عنه للعائلة .

ـ بالعكس . . ففي مطلع السنة الجديدة ، سأكون بعيدة عن هنا أفتش عن

Scanné avec CamScanner

عمل يتناسب واختصاصي.

ارتفع حاجبا هايزل: الخدمة في المقاهي؟

ـ لا.. أنا آسفة إن بدّدت أوهامك. لكنني أمينة مكتبة متخصّصة.

قال دومنيك بهدوء: آه..

كأنه حصل على جواب عن سؤال لم يطرحه:

سألت هايزل: لماذا تضيعين وقتك في مقهى صغير؟

نظر دومنيك إلى فويبي بابتسامة غريبة.

ـ لأنها لا تنظر إلى الأمر بهذه الطريقة، إنها تعمل في محيط لطيف مع أناس تحبهم.. صحيح آنسة غرانت؟

ـ صحيح جداً.

لقد أثار اضطرابها كم أن دومنيك آشتون اهتم بها فعلاً منذ أيام.

لكنها لن تمنحه فرصة أخرى هذا المساء. وهم يشربون القهوة، حولت الاهتمام إلى هايزل.

بعد قليل أطلقت تنهيدة صغيرة، حولتها بسرعة إلى تثاؤب خفيف، فاستدار دومنيك ينظر إليها: متعبة آنسة غرانت؟

كذبت بهدوء: أوه.. لا.. أرجوك لا تنهي السهرة لأجلي.

ابتسم لهايزل: أعتقد أنني سأضطر إلى هذا.. فأمامي يوم متعب غداً..

ـ أفهم تماماً حبيبي.. من المؤسف أنك مضطر للقيادة إلى ويستكومب ثم العودة.. لا تبالي حبيبي.. في المرة القادمة سأطهو لك وتكون الأمسية كلها لنا.. والآن، أوصلني إلى السيارة.. إن عذرتنا الآنسة غرانت طبعاً؟

ردت فويبي بصوت عذب مماثل: بكل سرور.

حين عاد دومنيك بعد عشر دقائق، كان يعيد منديله إلى جيبه.

إنه يمسح أحمر الشفاه.. ولقد فاتك رؤية الكثير.

ـ جاهزة آنسة غرانت؟

بدا صوته مقتضباً، نظراً للظروف..

تحرك نوع من الخبث الصرف داخلها.

ـ أنا مسرورة أنني لست من تسعى لكي تصبح كنزاً عائلياً.. أعتقد أن الوظيفة لم تعد شاغرة.

قال ببرود: الآنسة سنكلير.. صديقة قديمة.

قالت بمرح: لكنها تعتني بنفسها جيداً.

ساد صمت قصير: هل أنت دائماً فظة هكذا مع الغرباء؟

ـ وبشكل لا يتغير.

خرجت منه ضحكة أدهشتها.

ـ هل ضربك أحدهم يوماً على مؤخرتك وأنت صغيرة؟

ـ عدة مرات، لكن ليس بما يكفي لإرضيك على ما يبدو سيد آشتون.

تمتم: أنت تخرجين الكلام من فمي قصراً.

استدار بالرانج روفر إلى اليسار بحدة، فاستوت فويبي في جلستها.

ـ لقد سلكت المنعطف الخاطىء.. ويستكومب من الجهة الأخرى.

ـ لن نذهب مباشرة إلى هناك. سنذهب إلى مطعم «غرين مان» في «كوترنغ» لنشرب شيئاً.

انفرجت شفتا فويبي بشهقة ساخطة:

ـ لا أريد أن أشرب شيئاً.

تنهد دومنيك بنفاد صبر.

ـ ابقي ظمأى إذن.. وراقبيني أشرب. هناك ما أريد محادثتك به.

ـ ولماذا لا تتكلم الآن.. ونحن في الطريق إلى المنزل؟

ـ لأنني أريد التركيز على قيادة السيارة، بالمناسبة.. أتجيدين قيادة السيارات؟

نظرت إليه بارتباك: أجل.. أعطاني أبي دروساً في عيد ميلادي السابع عشر لماذا؟.

هز كتفيه.

ـ هذا أمر مهم هذه الأيام، خاصة في الضواحي الريفية.

ـ إذن لن يكون هذا مهماً لي.. فمن المؤكد أنني لن أجد وظيفة لمسؤولة

Scanné avec CamScanner

مكتبة إلا في المدن.

ـ أهذا ما تريدينه؟

ابتسمت باكتئاب: إنها مسألة حاجة.. كنت أمرر الوقت منذ وفاة أبي.. لكن هذا الوضع لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية.. يجب أن أنطلق.. أن أضع لنفسي حياة خاصة.

ابتلعت ريقها بقوة: سنة جديدة.. وبداية جديدة.

ـ سنشرب نخب هذا.

أوقف السيارة في موقف «غرين مان». كان مطعماً صينياً خشبياً مدهوناً بالأبيض يعود تاريخه إلى العصور الوسطى.. قادها دومنيك إلى غرفة بطراز تقليدي، مقاعدها مرتفعة، وطاولاتها خشبية ثقيلة.

جلست فوبي في المقعد.

ـ إنه مكان هادىء جداً.

ـ إنها ليلة هادئة.. لأنها الليلة الوحيدة التي لا يقدمون فيها طعاماً.. وإلا ما كنتِ لتحصلين على طاولة.. ماذا تريدين أن تشربي؟

ترددت فوبي: ماء «التونيك» أرجوك.

ارتفع حاجباه في سخرية:

ـ لا شيء أقوى.. قد تحتاجين إليه.

خفق قلبها بقوة.. سأخاطر.

لكنها أحست بالتوتر.

ماذا سيقول لها بحق السماء؟ وأخذت تتساءل بفزع حين دخل حاجب المطعم من باب آخر ليسجل طلباتهما. هل هو.. يا إلهي.. هل تذكرها فجأة؟ أوه.. لا.. أرجوك.. لا.

عاد صاحب المطعم بماء التونيك لها وكوب شراب مهضم له.. وقال دومنيك دون مقدمات: ما زال رأيك بي وضيعاً..

أجفلت:

ـ لست أدري ما الذي تعنيه.

ـ أوه.. لا تتلاعبي.. أنت تضعين عدوانيتك كدرع حولك.

صمت قليلاً.. ثم:

ـ لكن، وبالرغم من ظنونك، فأنا أهتم بمصلحة تارا من كل قلبي.

ـ أنا.. أعرف هذا.

ـ لكن هذا لا يزيد من إعجابك بي.. حسن جداً، أستطيع احتمال هذا.. لكن السؤال هو هل تستطيعين أنت؟

هزت رأسها: أخشى أني لم أفهم ما ترمي إليه سيد آشتون.

ـ دومنيك.. اسمي دومنيك، وأحب أن تستخدميه.

ـ ما من داع.. حقاً.. فنحن على الأرجح لن نتقابل مرة أخرى.

نظر إلى كوبه:

ـ لكنني آمل هذا.. تلك الليلة، اقترحت تارا أن تصبحي مربيتها.. وقلت إنه قد يكون لديك مئة سبب للرفض.

ـ أجل.. هذا صحيح.. وقلت لتارا..

قاطعها بلطف: أعرف.. ولا يهم.. أطلب منك نسيان كل الأسباب، بما فيها كراهيتك لي.. وفكري بدلاً منها بتارا.

مد يده ليمسك بيدها.

ـ أريد منك أن تأتي لتعتني بها من أجلي فوبي.. وإن كان ذلك حتى بداية السنة، إلى أن أتمكن من إجراء بعض الترتيبات، بعدها تستطيعين المضي في حياتك كما تشائين.

صمت قليلاً، ثم أكمل السؤال: حقاً.. ماذا تقولين؟

***

LOVE_Shades

Scanné avec CamScanner

LOVE_Shades

٦ ـ أين المفر؟

نظرت فوبيي إليه بصمت كامل لفترة طويلة.. ثم استجمعت قوّتها، وانتزعت يدها من يده.

قالت: لا.. لا.. هذا غير ممكن.

ـ لماذا؟

ـ أولاً، أنا لست مربية أولاد. ولست مؤهلة للعناية بطفل.

ـ هل هذا كل شيء؟

ـ ما قلته يكفي.

هز رأسه: ليس بالنسبة إليّ.. يجب أن تقدمي عذراً أفضل من هذا.

ـ لدي عمل.. وأنا سعيدة به.

ـ ليس لوقت طويل.. تحدثت إلى السيدة بريستون وأنا أتناول الغداء هناك اليوم، وحدثتني عن ابنة أخيها، وكم هي آسفة لأن تستغني عنك.. لذا، لا مشكلة في هذا الأمر.

قالت غاضبة متلعثمة: كيف تجرؤ على مناقشة أموري هكذا.. من دون علم منّي؟ كيف تجرؤ؟

ـ ستجدينني جريئاً بما يكفي. خاصة فيما يخص تارا ومصلحتها.

التقت العينان الرماديتان بعينيها في هدوء تام وبشكل مباشر.

ـ أنا أنتظر العذر التالي.

أخذت نفساً عميقاً: «عظيم.. ببساطة لن ينجح الأمر. أنت.. لا

تعرف شيئاً عني..».

ـ أنا أقوم باكتشاف مزاياك طوال الوقت.. وأتوقع المزيد.. أعرف أن لك قلباً دافئاً، وشجاعة. وإن كنت تطلقين لسانك كثيراً بعض الأحيان.. أعرف أنك تحبين ابنتي، وتهتمين بها. و.. الأهم، أني أثق بحدس تارا البديهي نحوك.

ردت بمرارة: لقد فكرت بكل شيء. وأعتقد أنه يفترض بي أن أذرف دموع الامتنان.

ـ إذا لجأت إلى شيء أيتها الخبيثة الصغيرة، فأتوقع أن يكون الأسيد الحارق.. فكري بالأمر.. أنا أتكلم عن ستة أو سبعة أسابيع.. وبالتأكيد يمكنك احتمالي هذه المدة؟ لأجل تارا؟

ـ لأجلها بالضبط، لن أستطيع، لقد قلت لك إنها لا تحتاج إلى عدد من الناس يمرون في حياتها.

صمتت تبلع ريقها: إنها تحتاج إلى شخص واحد خاص... يبقى معها دائماً.. وليس مربية.. بل أم.

قال بخشونة: كان لها أم في أحد الأيام. ولم تنجح.. لكنني فهمت وجهة نظرك.. وكما ذكرت، أنا أعمل على حل هذه المشكلة في الوقت الحاضر.. لكن مثل هذه الأمور تأخذ وقتاً.. وعلى أي حال.. لقد ارتكبت غلطة خطيرة مرة.. وسيكون كل شيء هذه المرة في المسار الصحيح.

صاح صوت في داخل فوبيي: إذا كنت ستتزوج هايزل سنكلير.. فأنت ستخرج من السيء إلى الأسوأ..

تنفست بحدة وسرعة، وآلمها هذا.. هذا تفكير خطير.. لا شأن لك في اختيار دومنيك آشتون للمرأة التي سيتزوّجها.. وهو أمر لا يمكنك تحمل نتائجه.. وبقيت صامتة.

أكمل: «حين أتزوج مرة أخرى.. لن يكون هذا لمجرد توفير أم لتارا كذلك.. احكمي علي بالأنانية إن أردت، لكنني أريد زوجة أولاً وقبل كل شيء».

www.liewity.com

Scanné avec CamScanner

ـ هذا أمر طبيعي.

وحاولت تخفيف الألم المستمر في حنجرتها بابتلاع القليل من شرابها.

ـ لكن، في هذه الأثناء، ستحتاج تارا إلى رعاية.. وأنا أريدك أن تفكري بعرضي جدياً. وبحق الله فوبيي.. لا يمكنك الادعاء بأن وضعك الحالي مثالي.. مهما تكن خططك المستقبلية فسوف تحتاجين إلى عمل في وقت قريب.

ـ أدرك هذا.. لكنني لست بحاجة إلى إحسان من أحد.

ـ وأنا لا أعرض عليك إحساناً.. ستكون كل البدائل إلى جانبك صدقيني.. اسمعي.. لا بد أن هذا كله قد شكل صدمة لك.. وإذا كنت قد تسرعت فأنا آسف.. لكن كلانا لديه مشكلة، وقد يكون هذا حلاً.

أو بداية لمشاكل لم أحلم بها يوماً.

وابتلعت ريقها: «أنا واثقة أنك تبغي الخير..».

صحح لها: «بل المنطق والواقعية».

ـ لكنني أناالقلقة.. ولأسباب عديدة.

أنهت شرابها ووقفت:

ـ والآن.. أود حقاً الذهاب إلى المنزل.. أرجوك.

ـ طبعاً.

كان في صوته لهجة رسمية جديدة.. من الواضح أنه تقبل قرارها، وسيتابع طريقه.

لكن، أوليس هذا ما أردته تماماً؟ وأحست فوبيي بالاكتئاب الشديد.

أكملا بقية الرحلة بصمت متوتر.

وهما يدخلان ويستكومب، أوقف دومنيك السيارة إلى جانب الطريق، في استجابة لصفارة إنذار كانت تدوّي خلفه. وقال متمتماً مع مرور سيارة إطفاء:

ـ أحدهم يعاني من المتاعب.

وأدركت فوبيي.. باتجاه منزلي.. ومالت إلى الأمام في توتُّر تراقب اتجاه

سيارة الإطفاء.

قبل أن يصلا إلى شارع رشتون كانت رائحة الحريق تدخل الرانج روفر.. ووجد دومنيك الطريق إلى الشارع مسدوداً بسيارات الشرطة. وتقدم إليهما شرطي:

ـ أنا آسف سيدي.. الطريق مقفلة.. يجب أن تعود.. هناك حريق في أحد المنازل يجري إخماده.

قال دومنيك متجهماً: هذا ما أراه.. لكن يجب أن تدعنا نمر.. فالحريق في منزل السيدة.

ـ حقاً؟ عرفنا أن المالك هو السيد هانسون.. وهو هناك الآن في حال يرثى لها.

قالت بصوت أجش: أنا المستأجرة.

قال رجل الشرطة: آسف لسماع هذا حبيبتي.. لقد أخمد رجال الإطفاء النار.. لكن أعتقد أن المكان كله يجب أن يُهدم.

دون أن تدري، وجدت نفسها تسير في الطريق ويد دومنيك تحت ذراعها، يسندها.

وظهر آرثر هانسون من الظلام ناعباً كالبوم.

ـ هذه غلطتك.. شرارة من الموقد.. سأقاضيك على الإهمال..

ـ أنا لم أشعل النار.. ولم أكن في البيت..

اختنق صوتها وهي تنظر إلى المسكن الأسود والنوافذ الفارغة، والسقف المنهار.

ـ ثيابي.. أشيائي...

أخذ هانسون يرقص غضباً:

ـ أنت لم تسمعي شيئاً من بعيد.

تقدم ضابط الإطفاء منهم: ولا أنت سيد هانسون.. فمما رأيته، أستطيع القول إن الخطأ يكمن في التمديدات الكهربائية.. ولقد حذرناك من سوء حالة التمديدات في أملاك أخرى لك.

Scanné avec CamScanner

قالت فويبي بتفكير متخدر: مفتاح النور في غرفة الجلوس.

ربت الضابط على كتفها:

ـ هذا ممكن جداً آنسة.. اشكري الله أنك لم تصابي بأذى.. لم نستطع إنقاذ الكثير.. لكن أحد الشباب أخرج علبة من التنك.. هل هي لك؟

ابتلعت ريقها بصعوبة.

ـ أجل.. فيها أوراقي الخاصة، وبعض الصور.

هز الرجل رأسه:

ـ سأحضرها لك. والآن، هل لديك مكان تأوين إليه هذه الليلة؟

قال دومنيك:

ـ أجل، لديها مكان.

ولف ذراعه حولها يشدها إليه، فدون ذراعه الداعمة لكانت وقعت على الأرض.

بعد هذا بدا كل شيء ضبابياً. كانت الحقيقة الوحيدة هي علبة التنك التي حملتها في حضنها.. وكانت تحس بأطرافها الحادة تضغط على يديها.

كانت لا تزال تتمسك بها حين قادها دومنيك إلى غرفة الجلوس، وأجلسها بلطف على الأريكة. راقبته وهو يحرك الحطب المتأجج ليعود إلى الاشتعال.. ورأت كاري تدخل بلهفة مع صينية شاي، وتضعها على طاولة أمامها.

جلس دومنيك إلى جانبها قائلاً:

ـ ضعي العلبة من يدك.. لقد أصبحت آمنة الآن.

هزت رأسها دون تفكير:

ـ إنها كل ما أملك الآن. كل شيء في العالم. هذا أمر مضحك.. أليس كذلك؟ إنها ليست علبة كبيرة.

وبدأت تضحك، والدموع تنهمر على وجهها الأبيض الشاحب.

سمعت كاري تقول: إنها مصابة بصدمة.. سأستدعي دكتور فوستر.

ثم أحسّت بنفسها ترتفع، وتجلس قربه. ووجهها مدفون في كتفه، تشتم

رائحة الصوف النضيفة، واريج عطره المميّز برجولته وقوته.. مع ذلك، وبطريقة مألوفة ومشوّقة بشكل مؤلم.. راح النحيب القوي يشق طريقه من أعماق كيانها، ليهز جسمها كله.

كان يملّس عليها كأنها حيوان صغير خائف. يداه تحتضنانها بلطف وتدعوانها للاسترخاء، وراح يملس شعرها المتشابك. كان يهمس ويكرر.. لا بأس عليك.. كل شيء سيكون على ما يرام.

حين لم يعد باستطاعتها البكاء أكثر من هذا، بقيت مستلقية بين ذراعيه، مرهقة مرتجفة، تراقب ألسنة النار المتراقصة، وتفكر كم كان من السهل أن يتغلب عليها الدخان وتعلق داخل المنزل المحترق.

حين جاءت كاري بالطبيب، ولاحظت فويبي نظرتها السريعة الراضية أدركت فعلاً أنها لا تزال تجلس في أحضان دومنيك.

احمر وجهها، وتململت بارتباك قبل أن تقف، وهي تتجنب النظر إلى عينيه.

كان الدكتور فوستر لطيفاً وواقعياً.. وأكد لها أن الدموع كانت دواء ممتازاً، ووصف لها المربى؛ والكاكاو، ومنوماً خفيفاً كعلاج مؤقت.

رافقتها كاري إلى الطابق العلوي مضيفة:

ـ وحمام ساخن أولاً.. كل شيء جاهز لك.

غاصت فويبي بامتنان في الماء الساخن المعطر.. لم تستطع أن تصدق كم تغيرت حياتها بسرعة وبطريقة جذرية. نظرت من حولها إلى غرفة الحمام النظيفة. والمناشف السميكة الدافئة، وإلى الروب الأحمر الداكن، الحريري الذي ينتظر ليلفّها.

كان هذا هو نوع الترف الذي فقدته منذ بضع سنوات، وكان مغرياً، لكنها كانت تعرف أن عليها مقاومة هذا الإغراء.

ارتدت روباً كان كبيراً جداً عليها فاضطرت إلى رفع الأكمام ولفّه مرتين حول خصرها النحيل.

كان الفراش مكشوفاً، والكاكاو الموصوف لها ينتظر على الطاولة

Scanné avec CamScanner

الصغيرة قرب السرير مع الأقراص التي تركها لها الطبيب.

حين نامت، وجدت نفسها غارقة في أحلام عن ذراعي دومنيك تحضنانها، وتشعرانها بالأمان. وفي سياق الأحلام، كانت تشعر أن هذا لم يعد كافياً.. في الظلام، أحست بنفسها تمد يديها وتهمس باسمه.

حين استيقظت في الصباح التالي شعرت كأنها لا تعرف مكانها ولا زمانها. ثم، وهي تتذكر أحداث الأمسية السابقة، عادت تغوص في الفراش مجدداً، وهي تتأوه. هذا لم يكن كابوساً آخر.. لقد احترق المنزل، وهي في منزل دومنيك آشتون، في إحدى غرفه، وترتدي روبه.

اكتشفت كذلك، أنها ليست وحدها كذلك.. فقد رأت لعبة دب صغيرة ترتدي شريطاً أزرق وضعت على الوسادة إلى جانبها.

التقطتها فوبي وارتسمت ابتسامة مترددة على شفتيها.. فقد علمت من وضعها. وأحست بنبض قلبها الخفيف وهي تعيدها إلى مكانها.

كانت الساعة تقارب الحادية عشرة.. لقد حان وقت قهوة الصباح في المقهى منذ ساعة ونصف.. وهي ليست هناك.

لا بد أن السبب هو تلك الأقراص اللعينة.. وأسرعت ترمي الأغطية عنها.

توقفت عند باب الحمام، وشهقت في خيبة أمل.. كانت قد تركت زي العمل على أرض الحمام ليلة أمس.. لكنها لم تجده الآن.. لا بد أنَّ شخصاً ما.. كاري على الأرجح.. قد أخذته من هنا.

خرجت من الغرفة وهي تحاول أن لا تتعثر بأطراف الروب، ونزلت السلم.. لكنها لم تسمع أي صوت أو أي إشارة تدل على الحياة..

ثم صمعت صوتاً يقول: صباح الخير.

ظهر دومنيك آشتون بصمت عند باب مكتبته.. ينظر إليها ويداه على خصره.

ارتفعت يد فوبي إلى عنقها تجذب أطراف الروب معاً:

ـ أوه.. أنا.. كنت.. أبحث عن كاري.

ـ لقد خرجت، وأظنها كانت تنوي العودة قبل أن تستيقظي.

ابتسم قليلاً: الروب يناسبك.. وإن كنت تتساءلين.. فهو جديد.. لم أرتده قط.

كل ما استطاعت أن تفكر بقوله: أوه..

ـ هل نمتِ جيداً؟

عضت شفتها:

ـ أكثر مما ينبغي.. لقد تأخرت على العمل.

ـ في الواقع لا.. لقد اتصلت هاتفياً وشرحت للسيدة بريستون أنك لن تحضري. وكانت متعاطفة جداً.. وقالت إن غيابك سيعطي ديبي الفرصة لتستعيد نشاطها.

ازداد احمرار وجهها غضباً:

ـ لم يكن من شأنك قول أي شيء من هذا. عليَّ أن أكسب معيشتي.

ـ أشك في أن تحققي ذلك في مقهى كلوفر. والآن، سترغب كاري في تقديم طعام الفطور لك.

ردت بحدة: لست جائعة.

اتسعت ابتسامته:

ـ حقاً؟ يبدو لي أنك على استعداد لتناول أي شيء.

ـ أنا أبحث عن ثيابي.

ـ لقد غسلتها كاري.. ولم تجف بعد.

صاحت مذعورة: «أوه.. لا.. ماذا يفترض بي أن أفعل؟»

اقترح بتكاسل: «استرخي.. إنَّ يوماً من الراحة لن يضرك».

ـ هذا إن لم أطرد من عملي بعده.

ـ لا تكوني متشائمة.. فالإمكانيات أبعد من هذا بكثير.. بالمناسبة تارا ترسل لك حبها. وقالت إنها ستراك بعد المدرسة.

قالت بحزم: «هذا مستبعد.. سأخرج حالما ما إن أحصل على ثيابي».

سأل ببطء: «مما أنت خائفة هكذا؟».

Scanné avec CamScanner

رفعت ذقنها: لست خائفة أبداً.. أنا.. فقط، أشعر أنني تطفلت عليك بما يكفي.

ـ لا تكذبي فوبيي.. أنت لا تجيدين الكذب.. والآن، تعالي إلى المطبخ، وسأعدُّ لك القهوة.

تمنَّت لو تقول له أن يحتفظ بقهوته، لكن مجرد التفكير بذلك جعل ريقها يجري في فمها. وهكذا سارت وراءه إلى مؤخرة المنزل.

كان المطبخ مؤلفاً من غرفة كبيرة، تطل نوافذها على بستان صغير، كانت أشجاره عارية الآن.

جلست فوبيي إلى طاولة مستطيلة. تراقبه يحضر غلاّية الماء.. بدا مرتاحاً تماماً وهو يصفر بصوت منخفض مع أنفاسه.

فتح البراد، ثم نظر إليها بحيرة: لحم؟ بيض مخفوق.. وتوست؟

ترددت للحظة ثم هزت رأسها: شكراً لك.

كانت رائحة الطبق الذي وضعه أخيراً أمامها كرائحة طعام الملائكة.. اللحم طري، والبيض مخفوق وسكب القهوة لهما معاً، ثم جلس قبالتها.

قال: «أنت على حق، فهذه محاولة معيبة لكسب رضاك».

ابتلعت فوبيي الطعام دون حذر، وكادت تختنق:

ـ أنت لا تلعب لعبة منصفة.. أليس كذلك؟

ومسحت عينيها بكم الروب.

قال: أنا أميل إلى تنفيذ قوانيني الخاصة.. منزلك تدمر، وعملك بلغ إلى نهايته.. إذن.. إلى أين ستذهبين؟ وما هي خططك؟

أنهت آخر قطعة بيض ولحم ووقعت الشوكة والسكين من يدها:

ـ لست أدري.. لكن هذه مشكلتي.. وسأتدبر أمرها بطريقة ما.

ـ وتفضلين الجحيم على قبول المساعدة مني.

نظرت إلى الطاولة: «هذا غير صحيح.. لقد وفَّرت لي سقفاً يأويني ليلة أمس.. وأنا.. ممتنة لك».

ـ إذن.. افعلي لي شيئاً في المقابل.. لا يزال عرضي قائماً.. أنا أحتاجك

للعناية بنارا. حين علمت أنك نمت هنا.. كادت تجن فرحاً.

عضت شفتها: «لقد تركت لي لعبة الدب على السرير».

ـ كهدية ترحيب. لقد أقنعت نفسها أنك هنا لتبقي.. لقد خذلتها سندي بشكل سيء.. فهل ستفعلين مثلها؟

ـ هذا أسوأ شكل من أشكال الابتزاز العاطفي.

لمعت عيناه الرماديتان في مرح وتسليم. مما سبب لها الاضطراب، وجعلها تشعر بضعف غريب وأضاف:

ـ ليس تماماً.. فأنا بحاجة لك.. لقد قلت لنارا إنك إذا جئت معي لنأخذها من المدرسة بعد الظهر، فهذا يعني أنك ستبقين.

جمع الأطباق المتسخة، ووضعها في غسالة الصحون.. ثم قال لها من فوق كتفه:

ـ علي أن أخرج الآن.. وسنتكلم في ما بعد.

ـ سيد آشتون..

ـ دومنيك.

وقف بالباب نظرته تأسر نظرتها، وأكمل بهدوء:

ـ لن يستغرق هذا أكثر من ستة أسابيع من حياتك فوبيي.. لأجل طفلة بحاجة إليك.. فهل ستكلفك الكثير حقاً؟

خرج.. بعد لحظة سمعت فوبيي الباب الأمامي يقفل وراءه.

إنه واثق جداً من كسب المعركة.. لقد عرض الحل الوحيد المتاح لمشاكلهما المشتركة.

لو أن لديها ملابسها، لخرجت من هنا إلى القطار التالي..

كانت ستفعل هذا لولا وجود نارا.. هذه هي النقطة الحرجة. أدركت ذلك بمرارة.. فهي لم تعد حرة تماماً، وقد باتت تعرف ذلك.

دخلت غرفة الاستقبال، ووقفت تنظر ساهمة عبر النافذة.. كانت السحب تتسارع عبر سماء رمادية. والأشجار تنحني أمام الريح.. إنه عالم بارد في الخارج.. ويبدو أن المنزل يلف نفسه حولها كالعباءة، يوفر لها

Scanné avec CamScanner

الحماية بشكل من الصعب رفضه.

صعب.. لكنّه غير مستحيل.

كل ما عليها فعله، هو أن تقول له الحقيقة. أن تذكره بتلك الفتاة العادية المخدرة التي وجدها على فراشه وتخلص منها.

هذا هو السبيل الواضح أمامها.. إذا كانت تريد حقاً أن تغادر...

توقفت حيث هي.. تشعر بأنفاسها تتسارع. ووجدت نفسها تتذكر فجأة ذراعيه حولها.. وهو يضمّها بلطف لم تعهده من قبل. واسترجعت ذاكرتها.. دفء أحلام الليلة السابقة، والعاطفة الصادقة التي ميّزتها.

تحركت متململة، وقد أزعجها ما شعرت به، وأحست بالخطر يحدق بها إن هي قبلت بعرضه. ما عساها تفعل الآن؟ وهل تملك الخيار؟ وتصورت ذراعيه تضمانها بشغف لا بلطف.

ارتجفت بخوف وترقب. ورفعت جفنيها المثقلين فجأة لترى صورتها المنعكسة في زجاج النافذة.. رأت العينين الناعستين الضبابيتين، والاحمرار على خديها، والفم الناعم الضعيف. إنه وجه غريبة، غريبة فقدت الاتصال بالواقع.

لقد طلب منها ستة أسابيع من حياتها. لا أكثر.. ولا أقل. وقد تحداها بقوله: هل ستكلفك حقاً الكثير.

هذا ممكن.. من الممكن أن تكلفها أكثر مما يمكنها دفعه. واتضح لها فجأة، وبشكل لا إرادي، أنّ قلبها وروحها قد يكونان ثمناً لهذه الأسابيع الستة.

كانت لا تزال واقفة كالتمثال، تحاول الوصول إلى اتفاق مع لحظة الحقيقة، حين عادت كاري:

ـ جئت لك ببعض الأغراض عزيزتي.

ورمت أكياس المشتريات على الأريكة.

تطلعت فوبيي إلى الأكياس، فوجدت ثياباً داخلية وأخرى خارجية.

ـ لكنني لم أتوقع كل هذا؟

ـ حسن جداً.. لا يمكنك البقاء في هذا الروب أكثر من ذلك.. لا يبدو مناسباً. هيا ارتدي شيئاً.. وسأريك كل المنزل.

بعدما ارتدت بسرعة بنطلوناً وكنزة، ومشطت شعرها كانت محرجة بسبب العناية التي انتقت فيها المرأة الأخرى الثياب التي تناسبها. لقد مضى زمن طويل لم تمتلك فيه أي شيء بنصف هذه الجاذبية.. لكن.. كيف ستدفع ثمنها؟ وعضت على شفتها بحيرة.

هزت كاري رأسها بإعجاب حين وصلت فوبيي إلى الطابق الأرضي، وسرعان ما بدأت جولة تفصيلية في المنزل.

وجدت فوبيي نفسها مهتمة.. ولو رغماً عنها.. في جناح الأطفال.. تلقت التعليمات عن كيفية العناية بملابس تارا، ولعبها. ودلتها على مكان حفظ كل شيء.

قالت كاري:

ـ لست مضطرة للقيام بتنظيف حقيقي.. فالسيدة واستون، تأتي من القرية.. ثلاث مرات في الأسبوع لأجل ذلك.. لكن، من المتوقع أن لا تبقى هذه الغرف مرتبة..

أرادت فوبيي أن تصرخ.. لا يهم، لأنني لن أبقى.. لقد قررت، نهائياً، أنني لن أجرؤ. لأنني لن أثق بنفسي.. وليساعدني الله.

لكنها في الواقع، لم تقل شيئاً.. بل ابتسمت بضعف وهزت رأسها.

ثم عرضت كاري عليها كيفية استخدام غسالة الصحون، وغسالة الثياب..

هزت كاري رأسها وهي تنظر من النافذة:

ـ يا إلهي.. الساعات تمر.. وسيحل الظلام قريباً.. ولقد تركت بعض الملابس على حبل الغسيل داخل البستان.. أحضريها لي.. أنت فتاة طيبة.

كانت الريح القوية قد عبثت بمعظم الأشياء على حبل الغسيل، وكانت تتشابك بينما تحاول فوبيي تحريرها.

عبر أنين الريح القوية، سمعت دومنيك يقول: فوبيي.

www.rewity.com

Scanné avec CamScanner

رمت اخر قطعة من ملابس تارا في السلة واستدارت ببطء لتواجهه. لم تسمع وقع أقدامه وهو يتقدم نحوها فوق العشب الرطب. لكن، وقبل أن يتكلم.. أحست بوخزة إدراك حارة.. ووعت أن فمها بدأ يلتوي بابتسامة، اضطرت إلى محوها بسرعة.

كان يقف على بعد ياردات منها.. فرأت الوجه الأسمر وقد بدا متوتراً. وجسمه الطويل متصلباً.. لكن لماذا؟ هل بسبب إمكانية رفضها؟

هذا أمر سخيف.. إنه لا يزال دومنيك آشتون المتعجرف.. لا يزال سيد الظلام في أحلامها، التي يمكن أن تتحول بسهولة إلى كابوس.

إنه رجل يجب تجنبه.. والتهرب منه.. بأسرع ما يمكن.

قال ببساطة: سأذهب لأحضر تارا فهل ستأتين معي؟

سمعت نفسها تقول لاإرادياً: أجل.

***

LOVE_Shades

٧ ـ مربية... ولكن!

لم يتكلم دومنيك.. وظنت فوبيي للحظة أنه سيخطو إلى الأمام ويصل إليها.. فشعرت بالتوتر يلمُّ بكل عصب من جسمها.

ابتلعت ريقها وهي تمسك بسلة الثياب كأنها درع لها.. فإن هو لمسها، فلن تعرف حتى ماذا تفعل.. أو كيف تكون ردة فعلها.. وقد أخافها إدراكها لهذه الحقيقة التي أصابتها بالدوار.

بدت كأنها مرتبطة به بحاجة مشتركة، لم تفكر قط في اختبارها يوماً. وهذا ما لم تتوصل إلى فهمه.

لم يحرك عضلة واحدة، ومع ذلك، أحست أنه... امتلكها..

ثم تحررت فجأة، كأن وتراً مشدوداً بينهما قطع بسكين، واهتزت ساقاها، وراح قلبها يخفق بقوة بين ضلوعها.

فقال بإيجاز: أحضري معطفك.. فسألقاك في موقف السيارات.

استدار مبتعداً وتركها تحدق إليه.

كان ينتظرها إلى جانب البيجو الصغيرة التي رأتها في موقف السيارات قرب السوق. أعطاها المفاتيح:

ـ ستستخدمين هذه وأنت تعملين لدي.. دعينا نرى ماذا ستفعلين.

شهقت: تريدني أن أقودها؟

ـ قلت لي إن لديك رخصة. وأحتاج إلى التأكد من كفاءتك إذا كنت ستقودين السيارة بابنتي..

Scanné avec CamScanner

ـ أجل . . أجل . . أفهم هذا .

واستقرت وراء المقود، تنتظر متوترة وهو يأخذ مكانه إلى جانبها . . وأكملت : لقد مضى وقت . .

ـ إذن . . خذي وقتك .

لحسن حظها، استجاب المحرك فوراً، وتحركت السيارة بنعومة . . ثم سألت وهي تسير عبر الطرقات الريفية :

ـ إلى أين ستذهب تحديداً؟

كانت مسرورة لأنها مضطرة للتركيز على القيادة . . فقد ساعدها ذلك على إبعاد اهتمامها عن وجود دومنيك القريب منها في السيارة الصغيرة .

ساد صمت قصير، ثم قال :

ـ بالمناسبة، هل لي أن أقول، كم يعجبني التغيير؟

أحست فوبيي بوجهها يحمر قليلاً : «يجب أن نتكلم عن هذا الأمر» .

رد بخفة : يبدو هذا منذراً بالسوء . . ألم يعجبك ذوق كاري؟

ـ ليست المسألة على هذا النحو . . أنا . . أنا لا أريد أن يشتري لي أحد ثيابي .

قال دومنيك بمنطق سليم :

ـ لكن أغراضك ذهبت مع الحريق . ولا أستطيع السماح لك بأن تمضي بقية حياتك في روبي . . مهما بدوت فيه مغرية .

وجدت أن من الأسلم تجاهل هذه الملاحظة الأخيرة وقالت بعناد :

ـ وإن يكن، أتمنى لو أنك لم تفعل هذا . سيلزمني دهر لأفي بدينك .

ـ اعتبريه جزءاً من العمل . . بزّات عمل . .

ـ هذه ليست بزّات عمل . . أنت تعرف هذا . أرجوك أن تعطيني الإيصالات، وسأدفع الثمن كما يناسبني ومتى أستطيع .

ـ أرجوك، لا تكوني كمن سيدور بوعاء شحاذ .

توقف هنيهة ثم أضاف : «ثم هناك مسألة راتبك، ونحن لم نبحث هذا الأمر بعد» .

ثم ذكر مبلغاً كاد يجعلها توقف السيارة . وقالت محتجة :

ـ لكن . . لا يمكن أن تدفع لي هذا المبلغ . أنا لست مؤهلة .

قال ببطء : هذا ما كنت أدفعه لسندي . . ثم إن لك قلباً دافئاً، وإحساساً بالمسؤولية . . وكلاهما أمران كانت تفتقدهما . أظن أنك تستحقينه، هذا فضلاً عن طعامك وشرابك ومنامتك .

ردت بحرارة : أوه . . هذا سخيف .

ـ أوافقك الرأي لأننا سننتهي في الخندق على جانب الطريق .

أدارت فوبيي المقود بسرعة، لتصلح اتجاه السيارة .

ـ أوه . . يا للجحيم . . أنت تعرف ما أعني .

قال ببطء :

ـ أجل . . أعرف . . وأتساءل لماذا تبخسين نفسك حقها؟

عضت شفتها حتى أحست بالألم .

ـ لم أكن أشعر بأن لي قيمة .

قال بلطف : أكذوبة أخرى . . أنت لا تثقين بي بما يكفي لتقولي لي الحقيقة . . لكنني أستطيع الانتظار .

فكرت بجنون . . ستنتظر طويلاً . . ما عساكَ تقول إن أخبرتك أن كل هذا بسببك، أنت وحدك؟ ربما . . في يوم ما، اليوم الذي أترك فيه هذا المكان إلى الأبد . . .

كانت مدرسة ويستكومب بارك مبنى من الآجر الأحمر .

أوقفت فوبيي السيارة بهدوء أمامها وخرجت منها، وهي تشعر بنفسها غريبة، مع أنها لمحت بعض الفتيات الشابات اللواتي كُنَّ بلا شك مربيات كذلك .

سمعت رنين جرس يتصاعد من مسافة قريبة، وأخذ الأولاد يخرجون من مبنى المدرسة وهم يثرثرون ضاحكين .

كانت تارا واحدة ممن ظهروا أخيراً، ولاحظت فوبيي فوراً أنها تسير وحدها، تنظر إلى الأرض .

Scanné avec CamScanner

وضعت يديها حول فمها، وصاحت: هاي.. نحن هنا.

رفعت الطفلة رأسها. وتلاشى التعبير الكئيب الشارد عن وجهها.

أسرعت تعدو عبر الطريق:

ـ فويبي.. أنت ستبقين.. أنت حقاً ستبقين.. لقد تمنيت كثيراً.. وقد تحققت الأمنية.

ـ حسن جداً.. وأنا أتمنى أن لا تندمي على هذا، فأنا شريرة حقاً بعض الأحيان.

سألت تارا بلهفة: هل نستطيع الذهاب إلى البيت لنلعب لعبة أخرى؟

ـ لا صغيرتي. لديك درس موسيقى ينتظرك، ثم فروض مدرسية تنجزينها.

وأدخلتها إلى المقعد الخلفي، لتثبت لها حزام الأمان.

ـ أنت لن تذهبي؟ الناس دائماً يسافرون.

أحست فويبي بشيء يعتصر في داخلها، وقالت ببطء: سأبقى طالما أنت محتاجة إلي.

كانت السيدة بلاك معلمة البيانو، امرأة طويلة ذات وجه هادىء ومرح. أحبتها فويبي على الفور.. وبادلتها في المقابل السيدة بلاك نظرة إعجاب وهي تصافحها بطريقة ودودة.

قالت بهدوء بينما كانت تارا تعتلي مقعد البيانو:

ـ أنا مسرورة لأنني لن أرى الآنسة التي كانت تأتي قبلك. كانت تدعي أنها ستنتظر على بوابة منزلي لأخذ تارا، وتطلب من الطفلة أن تكذب لأجلها... إنه أمر لا يمكن غفرانه وتستحق تحطيم عظامها.

كانت فويبي تفضل البقاء في هذا المنزل الهانىء الظريف، تصغي إلى درس تارا.. لكنها كانت تدرك أن دومنيك ينتظر لتتمشى معه. وبدا لها أنها تمضي الكثير من الوقت في صحبته.. سارت بهدوء إلى جانبه في شارع ديرونت وبداها في جيبيها ثم إلى منطقة التسوق الرئيسة.

كان شارع «هاي» متألقاً بزينة الميلاد.

كانت فويبي قد أمضت عيد ميلاد حزين في العام الماضي.. وكانت تتوقع هذه السنة شيئاً مماثلاً في كآبته.. بدلاً من هذا، تمكنت من رؤية الميلاد، بالطريقة الحقيقية الوحيدة.. عبر عيني طفل.. أدركت ذلك مع شعورها بالسعادة تغمرها.

قال دومنيك: أخيراً.. ابتسامة. كنت تبدين جدية جداً، حتى أنني ظننتك تودين التحدث إلي في أمر آخر.

احمر وجهها: «حدث كثير من الأمور في الأربع والعشرين ساعة الماضية.. ومن الصعب أن تتوقع مني تغييراً مفاجئاً».

ـ لكن.. لا داعي كذلك للظهور بمظهر الساخرة بهذا الشكل. هل فكرة العناية بتارا رهيبة إلى هذا الحد؟

ـ لا.. بالطبع لا. إنها رائعة.

ـ ولم تجدي دليلاً على أن كاري تمارس السحر الأسود فوق الجمر.

ضحكت قليلاً رغماً عنها: «ما هذا الكلام السخيف».

ـ كنت أخشى هذا.. في هذه الحالة أنا هو من يمارس السحر.. ما الأمر فويبي؟ ماذا فعلت؟

تشنجت كل عضلات عنقها.. ونظرت أمامها مباشرة.. ثم قالت بوقار رسمي:

ـ أنت كنت.. لطيفاً جداً.. قد أكون لا أتجاوب جيداً مع.. التغيير المفاجىء.

ـ لكنه، هذه المرة، تغيير إلى الأفضل.. وليس مثل بعض التغييرات التي حدثت في الماضي.. أما زلت حزينة على أبيك؟

ترددت:

ـ أجل.. وأعتقد أنَّ جُلّ ما يحزنني هو أنني لم أكن بقربه... وأكثر من ذلك أنه مات محاطاً بالغرباء.

ـ تلك لم تكن غلطتك.. قد لا تصدقينني لكن في الحياة أقداراً أكثر قسوة.

Scanné avec CamScanner

ـ وما الذي قد يكون أسوأ من هذا؟

قال ببطء: أن يموت المرء وهو يعرف أن شخصاً يحبه لا يبادله الحب وأنه استهلك حياته وطاقته في شيء لا قيمة له.. وهذه وحدة رهيبة.

تذكرت أشياء قالتها لها كاري. وعرفت أنه يتكلم عن والده.. لم يخفف الوقت من حدة الألم، ولا الغضب.

تابع: «حين اكتشفت أنني ارتكبت الخطأ عينه، قطعت كل صلاتي على الفور.. وعرفت أنني لو اضطررت للبقاء وحيداً طيلة حياتي.. فإن ما فعلته يستحق هذه العقوبة».

مرت أمام ناظريها صورة مفاجئة لهايزل سنكلير:

ـ لكنك لست وحيداً.. لديك.. لديك تارا.

قال برقة شديدة:

ـ هذا ليس مماثلاً.. وماذا عنك فوبيي؟ لم تعودي صغيرة.. لقد ذهبت إلى الجامعة. ولا بد أنه مرَّ في حياتك شخص مميز.. وربما أكثر.

ـ ما من أحد.. صدقاً.

ما من أحد أبداً..

ـ أتعنين أن هذه الحواجز لا تخفي وراءها لغزاً؟ لكن لا بد أن شخصاً حاول التقرب منك.. ليحل اللغز؟

ـ لا بد أنهم كانوا بعيدي النظر بما يكفي ليدركوا أن ما من لغزٍ يحيط بي.. وأنني فقط...

ـ فتاة عادية دون أسرار؟.. هذا ليس بُعد نظر.. بل هو عمى كامل.. وأنا أحذرك فوبيي غرانت..

تباطأ صوته إلى درجة التشدق:

ـ أنا أنوي البحث عن كل شيء.. أن أكشف النقاب عن كل أسرارك.. كل شيء عميق مخبأ.

بدأ كل جسمها يرتجف. وتوقفت مسمّرة لتنظر إلى واجهة محل، دون أن ترى شيئاً. ثم قالت بصوت منخفض، مليء بالغضب:

ـ حسن جداً.. دعني في المقابل أحذرك سيد آشتون.. قبولي بالعمل لا يعني أنني سأسمح بأي غزو لخصوصياتي.. أنا أفعل هذا لأجل تارا.. وفقط لأجل تارا.. ولن أسمح بأن تستخدمني لأجل تسليتك.

ردد بسرعة: هل أعطيك هذا الانطباع؟ أنا جاد تماماً.

استدارت تواجهه.

ـ وأنا كذلك. نحن شخصان منفصلان سيد آشتون. اضطررنا لوقت قصير أن نحيا حياتين متوازيتين. لكن، من أهم الحقائق المعروفة عن المتوازيين أنهما لا يلتقيان أبداً.. وهذا هو ما أريده.. مع كل المرتب السخي، والمنزل الجميل، لن أتقبل شيئاً آخر.

صمت لحظة:

ـ فهمت.. هل يشمل هذا الشرط الصداقة التي عرضتها عليك يوماً؟

ـ أنت رب عملي.. وأنا مربية ابنتك المؤقتة. هذا هو كل شيء.. كل شيء.

ـ أنت فعلاً متشددة في الأمر.. وهذا يجعلني أتساءل أي منا أنت تحاولين إقناعه بشدة.

قطع حديثه، ونظر إلى ساعته.

ـ لأجل التوازي.. سأراك في شارع ديرونت بعد نصف ساعة.

التوازي.. حقاً. ونظرت إلى ظهره وهو يبتعد. أراهن أن لا وجود لمثل هذه الكلمة.

على الأقل، تم رسم الحدود للأسابيع القادمة. ومن الآن فصاعداً.. لا يجب أن تعرض نفسها لأي خطر.

لكن، لماذا بدأت ترتجف فجأة وكأنها ورقة شجر؟ ولماذا تحدق في الشارع المكتظ محاولة أن تلمح طيفه الطويل وهو يبتعد عنها؟

رددت بغضب: غبية.. وسارت في الاتجاه المضاد.

كانت تارا في مزاج مبتهج حين أخذتها فوبيي.

أخذت الصغيرة تتراقص بابتهاج طوال الطريق.. وما إن وصلوا، حتى

Scanné avec CamScanner

أصعدتها فوبيي إلى غرفة نومها لتنجز فروضها المدرسية القليلة.. ولم تكن الطفلة متضايقة من المهمات.. وأخذت فوبيي تراقبها وهي تكملها بسرعة وكفاءة.

عند استقرار تارا لمشاهدة برنامج للأطفال، اغتنمت فوبيي الفرصة لتفتش في خزانة كتب في واجهة تحتوي على قصص خيالية، يعود بعضها إلى بداية القرن.. لكنها، كانت تحتوي كذلك على مجموعة واسعة من المؤلفات الحديثة.

كان هناك مجموعة كاملة من مؤلفات «جورجيت هاير» التي سبق أن قرأت معظمها. لكن من الجيد أن تجدد معرفتها بمثل هذه الكاتبة الأنيقة.. ووجدت داخل غلاف كتاب «طفل الجمعة» ملحوظة تعلن أن هذا الكتاب هو ملك فيليديا آشتون.

قال دومنيك من خلفها: إنها أمي.

أجفلت فوبيي بعنف. وكاد الكتاب يطير من يديها.. وقالت مقطوعة الأنفاس:

ـ كنت سأسأل إن كان بالإمكان أن أستعيره. لا أن آخذه هكذا.

قطب حاجبيه قائلاً: فوبيي.. في الوقت الحالي، هذا بينك.. ولست بحاجة إلى طلب إذن لكل شيء.

واستدار إلى ابنته، مما زاد من تقطيبه.

ـ ماذا تشاهدين تارا؟

ـ إنها أوبرا «داون أندر».

ـ أوليست هذه بعيدة قليلاً عن المجموعة التي تلائم سنها؟

قالت تارا:

ـ لقد شاهدتها... حين يتكلمون عنها لا أدري ماذا يعنون.

ـ وإن يكن.. أنا أفضل أن تشاهدي شيئاً أكثر ثقافة، من أوبرا أوسترالية رخيصة.

تدخلت فوبيي حين تحولت ملامح وجه الطفلة إلى التمرد:

ـ إنها على وشك الانتهاء على أي حال.. وفي الوقت المحدد لتمارين البيانو.

قالت تارا: أنت ودادي يجب أن تتركا الغرفة.

قالت فوبيي: سأناديك حين يجهز العشاء.

ثم سمعا وهما يبتعدان أول أنغام متشابكة للحن الميلاد تتصاعد من خلف الباب.

قالت فوبيي وهو يبتعد:

ـ هل يمكن أن تعطيني دقيقة من وقتك؟

توقف متسائلاً بسخرية: ما الأمر.. المزيد من القوانين والتعليمات.

أجبرت عينيها على لقاء عينيه:

ـ إلى حد ما.. فهمت حتى الآن أنك لا توافق على خيارات تارا في ما تشاهد.. وبالتلميح، تنتقدني للسماح لها بهذا.

قال بصوت باتر: هذا أمر واضح.. وهل تلوميتني؟

ـ أستطيع فهم تحفظك. لكن تارا هي الطفلة الجديدة في المدرسة وأظنها تجد مشاكل في الاستقرار خاصة في منتصف الفصل الدراسي. إنَّ أمراً بسيطاً مثل المشاركة في نقاش عن برنامج تلفزيوني مع زميلاتها في الصف، يمكن أن يعطيها الدفع الذي تحتاجه.. ويساعدها على التكيف.

عاد للعبوس ثانية.

ـ أتقولين إنها غير سعيدة في مدرسة «ويستكومب بارك».

ـ لست أدري إن كان الأمر جدياً إلى هذا الحد.. لكني أشك في أنها تجد تحدياً في دروسها.

ـ تتمتع المدرسة بسمعة جيدة جداً.

ـ وكذلك «كلير دولين».

اشتد ضغطه على فمه.

ـ والآنسة سنكلير في مجلس الإدارة.

ـ وهذا يجعل كل شيء ممتازاً، بالطبع.

www.rewity.com

Scanné avec CamScanner

صمتت قليلاً ثم رفعت ذقنها بتحد:

ـ لقد جئت بي إلى هنا لأنني أهتم.. ألا تذكر؟ هل تقول لي الآن إنك تريد مني أن أتوقف عن ذلك؟

رد متوتراً: لا.. لكنني لم أتوقع أن تتورطي بهذه السرعة.

ثم تبخرت ضحكته وهو يقول: يا للسماء، لا أعرف ماذا أتوقع.

قالت بهدوء: وأنا أيضاً.. عمت مساء.

ـ أين ستذهبين؟

ـ إلى الطابق العلويّ.. لأحضر العشاء.

صحح لها: عشاء تارا.. ستتعشين معي. بعد أن تنام.

أخذت نفساً عميقاً: هل كانت سندي تفعل هذا؟

ـ لا.. لكنها لم تجعلني كذلك أفكر بمصلحة ابنتي.. طلبت مني أن أعطيك دقيقة من وقتي.. والآن.. أطلب منك الجميل ذاته. سيكون العشاء جاهزاً في الساعة الثامنة.. لكني سأصعد أولاً لأتمنى لتارا ليلة سعيدة.

ساد صمت قصير.. وقالت فوبي ببرود: حسن جداً.

قال بنعومة: قرار حكيم.

تركها والغضب يستعر في داخلها.

كانت تارا تبدو هادئة، حين لفتها بالأغطية:

ـ إنها لمضيعة للوقت أن آوي إلى الفراش وأنا لا أشعر بالنعاس.. هل تقرأين لي قصة، أرجوك؟ أحب سماع قصة «بياض الثلج».

ـ هل أنت واثقة.. إنها مخيفة قليلاً في هذا الوقت.

وأحضرت كتاب القصص الخيالية عن الرف.

اندست تارا في الفراش:

ـ إنَّ أمها مخيفة.

ثم قالت عند انتهاء القصة.

ـ فوبي.. هل كل زوجات الأب شريرات؟

ـ أرجو أن لا يكون هذا صحيحاً.. فهنَّ كثيرات هذه الأيام.

ـ أتظنين أنه سيكون لي واحدة؟

ـ هذا شأن أبيك وليس شأني، صغيرتي.

ـ أتظنين أن دادي سيتزوج أمي مرة أخرى؟

ـ هل هذا ما تريدينه؟

ـ أحياناً.

تابعت تارا: سوف تأتي أمي لرؤيتي، لقد وعدتني آخر مرة اتصلت فيها.. وسوف تلتقين بها.

ـ سيكون هذا أمراً رائعاً.

حذرتها الطفلة: لكن هذا سرّ.. يجب ألا تطلعي أحداً عليه.. وإلا فلن يحدث.

سأل دومنيك وهو يدخل: المزيد من الأسرار؟

أكدت له تارا، وهي ترمي ذراعيها حول عنقه.

ـ إنه السر الأكبر.

سألت تارا بلهفة: هل ستبقى لتتحدث معي؟

ـ لا.. لأن الوقت قد حان لتنامي. جئت فقط لأقبلك وأتمنى لكِ ليلة سعيدة.

قالت تارا:

ـ وفوبي.. ألن تقبلها وتتمنى لها ليلة سعيدة؟

ساد الصمت، وسمعت فوبي نفسها تبتلع ريقها غصباً، وأحست بالاحمرار يغزو وجهها.. كانت تعي أن دومينيك يراقبها من الجهة الأخرى من السرير. وتشعر بالعينين الرماديتين تحدقان بها بحدة غريبة.

تركت نفسها تتساءل للحظة مجنونة، محرقة كيف تراها ستشعر.. تراجعت خطوة إلى الوراء، كأنه أراد الوصول إليها حقاً. فرأت الابتسامة على فمه وهو ينظر إلى ابنته:

ـ لا.. لن أفعل هذا.

ـ لم لا؟

Scanné avec CamScanner

ـ لأن الآن ليس وقت نومها. ليس بعد على الأقل.

لامست ابتسامته البطيئة الخبيثة فوبي، فشعرت باضطراب أرادت معه أن تركض.. أن تختبىء في مكان ما.. لكنها أحست بنفسها مسمرة في مكانها.

ثم انحنى يقبل تارا، ويلامس وجنتها بلطف: نامي جيداً حبيبتي.

واستدار عند الباب، قائلاً ببرود: سأراك وقت العشاء آنسة غرانت.

بعد خروجه.. ساد صمت آخر. ثم قالت تارا:

ـ أتوقع أن يقبلك بعد العشاء ويتمنى لك ليلة سعيدة.. ألا تتوقعين هذا؟

قالت فوبي محاولة استجماع رباطة جأشها: تارا.. أنت مستحيلة.

وهذا بالطبع.. لم يكن رداً أبداً.

***

LOVE_shades

٨ ـ لأجل تارا فقط...

لم تشعر فوبي برغبة في النزول إلى الطابق الأرضي وهي ترتدي تنورتها المقلمة، وبلوزتها الزهرية اللون، وجلست تنظر إلى نفسها في مرآة طاولة الزينة، تتساءل عن العذر المقبول الذي قد تقدمه لتتجنب صحبة دومنيك.

لكنها لم تستطع التفكير بشيء. فضلاً عن ذلك، فإنَّ أيّ محاولة مكشوفة لتجنبه ستفضح مشاعرها الداخلية. وهذا ما لا يجب أن يحصل.

بقيت في الغرفة إلى أن حان الوقت المحدَّد.

أضيئت غرفة الاستقبال بمصابيح مظللة، وبالحطب المشتعل في الموقد.

كان دومنيك يحتل أريكة قرب النار، وإلى جانبه إبريق عصير برتقال وماء الصودا، يطالع صحيفة محلية.

استدار عند دخول فوبي، وارتفع حاجباه وهو يتفحصها.

ـ هل هذا اختيار كاري؟ أنا أوافق على ذوقها.

قالت فوبي بتوتر: كانت لطيفة جداً معي.

وجلست على حافة الأريكة المقابلة.

طافت عيناه بشعرها الناعم المرتدّ إلى الوراء عن وجهها، وقد ربط عند مؤخرة عنقها:

ـ أخبريني، ألا تتركين شعرك ينسدل خارج ساعات العمل؟

مدت فوبي يداً متململة إلى شعرها.

ـ إنه أكثر ترتيباً هكذا.. ثم، حين تعتني بطفلة فلا يمكن التنبؤ بما قد

Scanné avec CamScanner

بحصل أثناء ساعات العمل.

ـ حسن جداً.. أنت بكل تأكيد خارج ساعات العمل هذا المساء.. هل ترغبين في عصير كرز بالصودا؟

ـ آه! لا.. لا.. شكراً.

ـ القليل من ماء التونيك؟

ـ لا شيء شكراً لك.

ـ هل أنت دائماً هكذا؟

نظرت إلى يديها المضمومتين بشدة في حضنها.

ـ لقد تعلمت منذ زمن بعيد، أن لا أشرب أي شيء لا أصنعه بيدي.

ـ هذا مؤسف.. فالعصير بريح الأعصاب.. وأنت هنا آمنة تماماً.. وتعرفين هذا.. فأنا لا أستغل معدة خاوية، معدتك أو معدتي.

بعد صمت مثقل افتر ثغر فوبيي عن ابتسامة مكرهة.. وحاولت أن تقول بصوت عفوي: هذا.. يبعث على الاطمئنان.

ـ حاولي إذن أن يبدو عليك ذلك.. لدي شيء لك.

ومد لها يده بمغلف أسمر.

قالت في حيرة: راتب؟ لكنني بدأت عملي للتو.

ـ إنه من السيدة بريستون في المقهى. زرتها بعد أن افترقنا بعد ظهر اليوم، وطلبت مني إيصاله إليك.

وأخذ يعد على أصابعه:

ـ راتبك حتى يوم أمس، إضافة إلى أجرة أسبوع إنذار بترك العمل، وبعض من مال العطلات.

قطبت فوبيي حاجبيها: «هي ليست مدينة لي بكل هذا».

هز كتفيه.

ـ إنها تعتقد هذا حقاً.. جادليها هي لا أنا.

رمى بالمغلف إليها، فالتقطته ووضعته في جيب تنورتها.. ثم قالت:

ـ سأتمكن الآن من تسديد ثمن الثياب التي اشترتها كاري.

ـ لا داعي للعجلة. لماذا لا تدللين نفسك بجولة في السوق؟ أستطيع أصطحابك إلى ميدبورتون غداً، بعد أن نوصل تارا إلى المدرسة.

لكنها هزت رأسها:

ـ من الأفضل أن ألتزم بما نويت القيام به أصلاً.. إذا كنت لا تمانع.

ـ أظنني أمانع.. أنت فعلاً لا تستطيعين احتمال أن تكوني مدينة لي.. ولو لفترة قصيرة.. أليس كذلك؟

ظهرت في صوته نبرة جافة، وعضت على شفتها. ثم قالت بثبات:

ـ ليس الأمر هكذا. بل أنا فقط.. أترى.. أشعر بالرعب.. من الدين منذ أيام أبي..

تأوه وهو يهز برأسه: يا إلهي فوبيي.. أنا آسف.. يبدو أننا نخوض تنافساً في الخوف من الاضطهاد.

ـ أنا لا أخاف الاضطهاد.

ـ هل هذا صحيح؟ إذن لن تمانعي بهذا؟

تقدم نحوها وأخذ يدها المجفلة وجذبها لتقف وتواجهه بحيث باتت لا تبعد سوى إنشات قليلة عنه.

حررت يدها منه، وقالت بغضب: ماذا تفعل؟

قال بهدوء: أنا أعلمك أن العشاء جاهز.. وأنا جائع، حتى إن لم تكوني أنت جائعة.

أخذت نفساً عميقاً، وسارت أمامه إلى غرفة الطعام.

كان الطعام مؤلفاً من حساء الكراث والبطاطس، تبعه فطيرة شهية من اللحم.. والحلوى..

لحسن حظها، أبقى دومنيك الحديث خفيفاً.. وغير شخصي. ثم قال وهو يقف:

ـ سنتناول القهوة في غرفة الجلوس.

ـ أظن أنني سآخذ قهوتي إلى غرفة الجلوس الأخرى.

لم تكن تريد أن تمضي معه وقتاً أطول حدهما، في جو غرفة الجلوس الدافىء

Scanné avec CamScanner

الحميم وأكملت:

ـ هناك شيء.. أريد مشاهدته على التلفزيون.

قال متشدقاً: حقاً؟ لم أعرف أنك مدمنة على ذلك.. لم يكن لديك جهاز تلفزيون في منزلك.

ابتسمت له فوبيي بتوتر:

ـ أنت دقيق الملاحظة سيد آشتون.. لكن هذا كان خيار صاحب البيت، وليس خياري. وأعلمك أنني أحب الاستعراضات والكوميديا الهادئة، والأوبرا الخفيفة.. في الواقع، أحب أي شيء لا يضطرّني إلى التفكير كثيراً.

وأي شيء يمنعني من الانضمام إليك.

لمعت عيناه: «إن الليلة إذن هي ليلتك. فحسب الصحيفة، هناك مباراة كرة قدم عالمية على إحدى القنوات، ومباراة ملاكمة على أخرى. ولا شيء في هذا يحرك الدماغ».

حاولت أن لا تشد على أسنانها وقالت بحدة:

ـ لا.. في الواقع.. قد أنام باكراً بدلاً من هذا.

ـ فكرة رائعة أخرى. في الواقع قد أنضم إليك.

ارتفعت عيناها المجفلتان إليه فابتسم ساخراً:

ـ ليس بما للكلمة من معنى طبعاً.. أم كنت تفكرين أنني سأنفذ قول تارا، واقتراحها الفائت؟

ـ لا.. لم أفكر في هذا.

وأحست بوجهها يحمر مجدداً.

فقال بخبث: أوه.. كوني صادقة.. كنت طوال الأمسية كقطعة من اللحم فوق صفيح ساخن. تتسألين عما إذا كنت سأتحرك، ومتى.

ـ هذا غير صحيح..

ـ كان يجب إذن أن تفكري. فقد كنتِ تربطين شعرك كي لا ألاحظه، وتلك النظرة الشرسة، لا تزالين فتاة جذابة كلك حيوية.. يجب أن تتوقعي من كل رجل يلقاك أن يرغب في معانقتك.. وأن يغازلك.

ـ أتعني أنني يجب أن أتصرف كامرأة ساقطة؟

وأخذت ترتجف، وهي تتذكر بوضوح صرير الكلمات الخشنة التي رماها بها يوماً.

قال بنفاد صبر: بالطبع لا.. عم تتحدثين بحق السماء؟

ـ قد تصاب بصدمة سيد آشتون.. لكنني لا أتأثر بمثل هذا النوع من الحديث.

رفعت رأسها إلى الوراء في كبرياء.

ـ إنَّ ملاحظة تارا.. كانت.. محرجة لي. وقد وبختها عليها.. ولم أتوقع منك أن تشير إليها مرة أخرى.

قال ساخراً: أوه.. لم يحرجني كلامها. وبما أنك أثرت الموضوع، أريد أن أعرف ماذا يؤثر فيك، آنستي المتزمتة فوبيي غرانت؟

قالت فوبيي: لا شيء.. لا شيء بإمكانك فعله.

ـ تعنين أنك أعلى من كل هذه الرغبات البدائية الكريهة؟

هز رأسه ببطء: يا إلهي فوبيي... لا بد أنك من جنس بشري متفوق.

ـ أجد هذا كريهاً.. هناك قواعد تحكم العلاقات بين رب العمل والمأجور.. وهذا.. هذا أمر قد يصل إلى التحرش الجنسي..

سارت نحو الباب: «ولا أريد القهوة. أنا ذاهبة إلى غرفتي.. وأريد أن تتذكر ما قلته لك.. إن كنت تريدني أن أبقى».

ـ وهناك بعض الأمور التي أريد منك أن تتذكريها كذلك حبيبتي..

أصبح غضبه مكشوفاً الآن، وممزوجاً بشيء آخر لا يمكن تحديده.

ـ هذا منزلي، وأنا أضع القواعد هنا.. ولست هدفاً لأي نوع من الابتزاز.. لكن بما أنك اتهمتني.. فمن الأفضل أن أرتكب الجرم.

أمسكت مقبض الباب بسرعة تحاول إدارته، لكن أصابعها انزلقت.. ثم أمسك دومنيك بكتفيها، وأدارها لتواجهه، يأسرها بين خشب الباب وجسده.. كانت عيناه تلمعان والتصميم البارد يغطي وجهه.. مما جعلها تنكمش.

Scanné avec CamScanner

همست: لا.. أرجوك.. لا أستطيع..

ـ آه.. لكنني أستطيع.

وضع يديه على الباب، واحدة في كل جانب منها.. وأبقاها أسيرة دون أن يلمسها. كانت تشعر بمدى قربه منها وتشم عطره الأخاذ وتسمع نبضات قلبه المتسارعة بغير انتظام... أم أن قلبها هو الذي راح ينبض بقلق واضطراب؟

لم تعد تعي سوى وجوده بالقرب منها، وأخذ بؤبؤا عينيها يتسعان وهما ينظران إلى وجهه الأسمر.. ثم انحنى يعانقها.

خفت حدة غضبه، فكان عناقه لها لطيفاً رقيقاً..

جالت إحدى يديه على شعرها وكأنه من حرير. وضمتها ذراعاه اللتين غمرتاها بعاطفة جديدة ساحرة لم تصدقها في البدء. ورفعت ذراعيها ولفتهما حول عنقه في أول استجابة خجولة لتلك العاطفة التي غيرت كل شيء.

كانت ذراعاه تشدانها بشراسة، وبطريقة لا تراعي قلة خبرتها. وضمته إليها بشوق وقلبها يحترق، ويرتجف كطير وجل...

لكنه سرعان ما ابتعد عنها، وقال هامساً:

ـ والآن... قولي لي أن أتوقف!

اصطدم ظهر فوبيي بالباب خلفها وانحنى رأسها الى الأمام كزهرة مكسورة الساق.

أدركت أنه سار مبتعداً عنها... وسمعت رنين إبريق القهوة فوق الفنجان. فاستقامت ببطء ونظرت إليه.

قال بهدوء: أنت إذن من البشر آنسة غرانت... مجرد دم ولحم مثلنا جميعاً.

وأكمل بوحشية: والآن... أهربي الى فراشك، قبل أن أستسلم لغريزتي الشريرة.

صمت قليلاً ثم أكمل: أم أن هذا ما تنتظرينه؟

تمكنت من تحريك رأسها نفياً.

هذه المرة أطاعها مقبض الباب. فتسللت كالظل، واتجهت الى السلم.

تعثرت في منتصف الطريق ووقعت على ركبتيها وقد أعمتها الدموع... ثم جرت نفسها وتابعت، الى أن أقفلت باب غرفة نومها وأدارت المفتاح.

ماذا فعلت؟ أوه يا إلهي العزيز.. واختنقت في حنجرتها الدموع التي اهتز منها كيانها.

مضى وقت طويل قبل أن تتمكن من التفكير بشكل سوي يمكنها من وضع خطة ما.

يجب أن تغادر المكان، طبعاً.. أنى لها العيش معه تحت سقف واحد وهو يدأب على إذلالها.

مسحت الدموع.. لم تكن سوى تجربة، بالنسبة إليه، ليبرهن أنه قادر بالرغم من كل كلماتها الشجاعة، على جعلها تفعل أي شيء يريده.

ظلّ جسمها كله حتى هذه اللحظة يرتجف خوفاً و... ندماً.

لقد سمحت له أن يمارس هذه السلطة عليها. ووبخت نفسها. لقد جعلته يشعر دون أدنى شك بأنها تريده.. وبأنه قادر على حملها على الاستسلام له حين يشاء.

لكنّه، استدار مبتعداً عنها مرة أخرى. ليس باحتقار، بل بلا مبالاة بعثت في نفسها ألماً يفوق قدرتها على الاحتمال... ويتفوق على الشعور بالعار الذي اتسم به تعارفهما في المرة الأولى منذ ست سنوات.

ألأجل هذا جهدت ببطء لإعادة بناء احترامها لنفسها؟ لمجرد أن يقوم هو بهدمه مرة أخرى؟ ولمجرد أن يثبت وجهة نظره؟

أوه.. أيتها الحمقاء! أيتها الحمقاء المجرمة المثيرة للإشفاق!

ثم سمعت، وهي تنسل من تنورتها بارتباك، صوتاً يطقطق في جيب التنورة. وفكرت أنه المغلف الذي أرسلته لها السيدة بريستون. نظرت إليه.. ورأت فيه حبل النجاة لها، من هذا البيت.

كان كشك الهاتف لا يزال في القرية، حيث تستطيع الاتصال بسيارة أجرة تقلّها إلى شاطىء الأمان، مثل المرة الماضية. لكنها الليلة ستغادر إلى الأبد.

كانت كاري قد تركت لها على الفراش بينما كانت تتناول العشاء مع

www.lewity.com

Scanné avec CamScanner

دومنيك، تنورتها السوداء وقميصها الأبيض نظيفين ومكويين، كذلك ملابسها الداخلية . . وخيراً فعلت .

فهي على الأقل، سترتدي ثيابها الخاصة . .

ستنتظر إلى أن يهدأ الجوّ في البيت، ثم ستذهب . لقد قالت لها كاري إن هناك مفتاحاً إضافياً للباب الأمامي في درج طاولة الردهة . . ستستخدمه ثم تعيده عبر علبة البريد .

تصورت للحظة تارا وردة فعلها الباكية، وخيبة أمل كاري، وأحست بسكين تلتوي في داخلها .

لكن . . ليس لدي خيار آخر .

لم تعد قادرة على احتمال تضارب مشاعرها نحو دومنيك . . ولا تناقضات الحياة في هذا المنزل .

ارتدت ثيابها وأخذت معطفها وحقيبة يدها وعلبة التنك . ثم استلقت تنتظر فوق السرير . بدا أن وجه دومنيك يسبح أمامها، فأغمضت عينيها لتبعد صورته . ولا بد أنها غفت قليلاً، فحين فتحت عينيها مرة أخرى، كان المنزل مظلماً ساكناً . . . وأعلمتها الساعة قرب السرير أنها تجاوزت منتصف الليل .

حان وقت الرحيل . . فارتدت معطفها، وأخذت أغراضها، ثم خرجت من الغرفة .

عند أعلى السلم، أضاءت بحذر أحد مصابيح الردهة في الأسفل، وبدأت تنزل .

فتحت الدرج في الطاولة، وراحت تتحسّس المفتاح . لكنها لم تجده . . فسحبت الدرج إلى الخارج . وتمنت لو تستطيع أن تخاطر بمزيد من النور .

ثم، وفي اللحظة نفسها تقريباً، تحققت أمنيتها وأغرقت الردهة فجأة بالنور، فاستدارت فويبي وهي تصيح مذعورة .

كان دومنيك يقف في باب غرفة الاستقبال، يراقبها . بدا مرهقاً، وقد برزت عظام وجهه القوية تحت بشرته المشدودة .

وقال بهدوء : ظننت أنك ستأتين إن انتظرت وقتاً كافياً .

ـ أنا مغادرة . ولا يمكنك منعي .

ـ لا . . على الأرجح لا أستطيع . لكن عليّ أن أقول لك شيئاً أولاً .

التقطت علبة التنك عن على الطاولة وحضنتها كدرع دفاعي :

ـ لا أريد سماعها .

ـ افهم هذا . . لقد تصرفت بشكل بالغ السوء . وليس لدي أيّ عذر . . سوى أنك أثرت بي تأثيراً شديداً من أول لحظة التقينا فيها .

ـ هل تريد بهذا أن تعتذر؟

ـ بل بداية الاعتذار فويبي . . أنا نادم على ما حدث أكثر مما أستطيع التعبير عنه .

ـ ليس بقدر ما أنا نادمة .

أجفل وكأنه يتألم، لكنه أكمل .

ـ أنت تعملين لدي . . ولم يكن لي الحق في أن ألمسك . لكنك . . حرضتني . . وأردت أن . .

صمت بعجز . ثم التوى فمه :

ـ يا الله . . أعتقد أني أردت أن أعلمك درساً، لكن ما حدث . . قد علّم كلينا درساً معاً .

أجفلت فويبي : أتحاول القول إنها غلطتي؟

تابع كلامه متجهماً : تعرفين تماماً ما أقول . . للحظات هناك، كان الأمر مشتركاً . . وتعرفين هذا . وهذا سبب يمنع حدوث ذلك مرة أخرى .

ـ أنت . . أنت بدأت .

ـ أجل . . وأنا أنهيت . . ولأجلنا معاً، لذا فأنا لست ذلك النذل الأسود القلب تماماً .

ـ وأنا لست . . فاسقة . . فاسقة رخيصة تستغلها كلعبة . . لم أكن يوماً . . .

تلاشى صوتها وشهقت حين أدركت مدى اقترابها من كشف سر خطير .

قال : لا . . من حقك أن تتمتعي بحمايتي واحترامي، وقد خذلتك من

Scanné avec CamScanner

الناحيتين.

ـ حسن جداً، نحن متفقان على شيء ما. هل لي أن أذهب الآن؟

قال بصوت منخفض: أعطيني دقيقة بعد.. لا أستطيع تغيير ما حدث، أو محوه. لكنك حين تغادرين هكذا، فأنت لا تعاقبينني أنا فقط، بل تارا كذلك. وهي لا تستحق هذا منك. لماذا يجب أن تعاني بسببي؟ وبسبب عجزي عن السيطرة على نفسي؟

بدا صوتها أجشّ وهي تقول:

ـ لا أستطيع البقاء بعد ما حدث.. تعرف أنني لا أستطيع.

ـ لأنك لا تثقين بي؟ لقد فقدت رشدي لبرهة الليلة. وأعترف بهذا.. ولن أرتكب الخطأ نفسه مرة أخرى.. لا أستطيع احتمال خطأ آخر.

اشتد ضغطه على فمه: لدي خطط مختلفة تماماً لحياتي.. من الآن فصاعداً ستكونين مربية ابنتي، لا شيء أكثر.. ستكونين آمنة جداً هنا.. أقسم على هذا.

فكرت فوبيي: آمنة منك، ربما.. لكن، ماذا عن نفسي؟ ماذا عن مشاعري؟

اقترب منها خطوة.

ـ فوبيي.. لقد جئت إلى هنا لأجل تارا.. فإذا نسينا ما حدث هذه الليلة، ألا يمكنك البقاء.. لأجل تارا فقط؟

ساد الصمت.. كان الألم في داخلها يتلاشى شيئاً فشيئاً إلى حد لا يُذكر.. وافترضت أنها مع الوقت، ستتعلم أن تتعايش مع هذا الألم.

قالت بصوت أجش: حسن جداً إذن.. فقط لأجل تارا.

قال بهدوء: شكراً لك.. وأعدك بأنك لن تندمي..

صمت قليلاً: «سآخذ تارا غداً إلى المدرسة، وأتركك لتعوضي النوم الذي فاتك.. طالما ستأتين بها بنفسك بعد الظهر».

هزت رأسها واستدارت نحو السلم.. أصبح الوضع هكذا طبيعياً.. مجرد عمل.. هكذا يريده.. وهكذا يجب أن يكون.. لأجل تارا فقط.

لكنها كانت تعرف، أنها لو استطاعت أن تخادعه، فهي لن تستطيع قط أن تخادع نفسها.

LOVE_Shades

٩ ـ ومرت الأيام

خطر لفوبيي أن الروتين هو الترياق الذي تحتاج إليه.. سوف أتبع نظاماً خاصاً لأيامي وألتزم به.

وبدأت بداية حسنة.. فالتزمت غرفتها إلى أن سمعت الرانج روفر يبتعد. ثم نقلت أغراضها إلى جناح الأطفال، واستقرّت في الغرفة التي كانت تستخدمها سندي.

سوف أبلغ كاري أنني من الآن فصاعداً سأتناول كل وجبات الطعام مع تارا.

قبل أن تنزل، عرت السرير الذي كانت تستخدمه وحملت المفارش إلى غرفة الغسيل.

وقررت في المطبخ أن لا تحمص التوست، واكتفت ببعض البسكويت الذي تصنعه كاري.

كانت تجلس إلى الطاولة تشرب قهوتها، وتتطلع إلى الصحيفة اليومية، حين انفتح الباب ودخلت هايزل سنكلير وذراعاها مليئتان بالأقحوان البرونزي اللون. فتوقفت مسمّرة لرؤيتها فوبيي.

ـ أنت؟!

كان من الصعب على فوبيي أن تميّز في نبرة صوتها الصدمة والانزعاج.. لكنّ فوبيي حسب معرفتها بها وجدت الانزعاج يطغى على صوتها. وقالت بأدب:

Scanné avec CamScanner

ـ صباح الخير آنسة سنلكير . . هل لي أن أقدم لك القهوة؟

ـ لا . . هذا ليس شأنك . . ماذا تفعلين هنا؟

ردت فويبي برباطة جأش : أستطيع أن أوجه إليك السؤال نفسه .

ـ ظننت أن سبب وجودي كان واضحاً . . لقد خطر لي تلك الليلة أن البهو يبدو خاوياً . فإدارة كاري للمنزل تلتزم بالأساسيات ، وتحتاج إلى . . هذه اللمسات الرائعة .

ـ هذا الأقحوان . . كما أعتقد؟

ـ في الواقع أجل . . لماذا أنت هنا؟

ـ أنا أعمل كمربية لنارا . إلى أن يجد دومنيك البديلة .

ـ مربية؟ أنت؟ هذا آخر شيء يمكن أن أتصوره .

ـ حسن جداً . . وأنا لم أكن أعتقد أنك بائعة زهور . . لذا فإن كلينا مخطئتان .

وابتسمت فويبي بإشراق .

تصاعد الاحمرار الحارق على خدي الآنسة سنكلير .

ـ أتحاولين إهانتي؟

وفكرت فويبي : أعتقد أنني نجحت .

ثم قالت بصوت مرتفع : «يؤسفني أن تظني بي هذا» .

وعادت تهتم بقهوتها . . لكن صوت هايزل سنكلير أجفلها :

ـ لا تجلسي هكذا . . جدي لي بعض الأوعية .

ردت فويبي بهدوء : يسعدني أن أساعدك . . لكنني لا أعرف مكانها . فأنا لم أعتد بعد على المنزل كله .

سخرت الآنسة سنكلير :

ـ كان عليّ معرفة ذلك . . لا بد أن دومنيك قد فقد عقله ، ليوظف غريبة من الشارع .

أخذ دم فويبي يغلي ببطء ، ولكنها قالت بلطف :

ـ لا . . كنت ساقية في مقهى «كلوثر» ، ألا تذكرين؟

ـ حسن جداً . . ما زلت غير مناسبة . . سأتكلم بشكل حاد مع دومنيك هذا المساء . تلك الطفلة تحتاج إلى يد صارمة . . انضباط ملائم . . وليس إلى نكرة غير مدربة .

ردت فويبي بنعومة : أوافقك الرأي تماماً . . لكن دومنيك ، باركه الله ، يعتقد أنني ممتازة .

شربت ما تبقى من قهوتها ووقفت : «والآن . . سأتركك مع أزهارك . . »

وخرجت من المطبخ ، تاركة المرأة الأخرى .

فكرت فويبي بتعاسة : لهايزل سنكلير إذن إدارة المنزل . واستجمعت شجاعتها وهي تعود إلى الطابق العلوي . . حسن جداً . . لقد ألمح دومنيك بصراحة ليلة أمس عن آماله للمستقبل . وتصرف الآنسة سنكلير الواثق ، يوضح الأمور بشكل مؤكد .

أذهلها ما شعرت به من كراهية نحو الفتاة الأخرى ولم يكن السبب ببساطة أن دومنيك اختارها لتشاركه حياته .

إنها فتاة متعجرفة لا تهتم سوى بنفسها . . لا بد أن الحب أعمى بالفعل إن لم يكن دومينيك يرى ذلك . .

بقيت في الطابق العلويّ تحاول التخفيف عن عنف مشاعرها ، فقررت تنظيف الحمام .

هناك وجدتها كاري لدى عودتها .

تطلعت حولها من فوق نظارتها : «يا إلهي . . أنت لست موظفة تنظيفات ، وتعرفين هذا . . وقد أبلغتك بذلك» .

ـ كنت بحاجة إلى القيام بعمل مهضم . . ومنظِّف .

مر ما تبقى من اليوم بهدوء تام . . . وقادت فويبي سيارتها إلى ويستكومب قبل ملاقاة نارا في المدرسة ، ثم قامت كذلك بزيارة المقهى حيث راحت لاين تهاجمها بالأسئلة :

ـ كيف حال رئيسك الفاتن؟ لقد وضع السيدة بريستون بالأمس تحت سيطرته الكاملة . . لم تكن فكرة دفع أجرة العطلات فكرتها هي أتعرفين؟ . .

Scanné avec CamScanner

أظنها كانت ستدفع ضعف المبلغ لتستعيدك. فقد عادت ديبي إلى ألاعيبها القديمة.

ردت فويبي بخشونة، وقد علا الاحمرار وجهها عند ذكر دومينيك:

ـ يسرني أن أعرف أن الأمور لا تزال على حالها.

لاحظت وهي تنتظر تارا أمام بوابة المدرسة أن تارا خرجت لوحدها كالعادة. لكن تعبير وجهها الصارم تلاشى عند رؤيتها فويبي.

عدت مسرعة إلى السيارة:

ـ هل أنت أفضل حالاً؟ قال دادي إنك كنت مصابة بصداع هذا الصباح.

ابتسمت فويبي وعبثت بشعرها:

ـ أوه.. لقد شفيت تماماً..

وقت العشاء قالت كاري لهما معا:

ـ سيد دومنيك يتعشى مع أصدقاء.

رددت فويبي في نفسها بتنهيدة ساخرة: وما من داعٍ لأن أخمن من هم الأصدقاء.

ما إن نامت تارا، حتى ألفت فويبي نفسها حائرة لا تدري ماذا تفعل.. كانت كاري مشغولة في المطبخ، تحضر الفاكهة لفطيرة عيد الميلاد تنقعها في الماء والسكر.. وقد ألمحت أنها تفضل البقاء لوحدها.

دخلت فويبي مجدداً إلى جناح الطفلة.. وأخذت إحدى الأحجيات المعقدة، فأفرغت القطع على الطاولة الكبيرة، وأدارت الراديو الجديد حيث وجدت محطة تذيع الموسيقى.. موسيقى خفيفة ناعمة. واستقرت لتباشر العمل.

لقد مرت سنوات لم تعمل خلالها على حل أحجية، ونسيت كم أن بإمكان ذلك أن يستحوذ عليها ويبعث في نفسها الهدوء. كانت قد أكملت الإطار، وأنهت نصف السماء، حين سمعت صوت دومنيك يقول بتجهم من خلفها:

ـ إذن.. ها أنت هنا.

رأت عبوسه وهو يستدير حول الطاولة ليقف قبالتها:

ـ أجل.. هل من مشكلة؟

ـ قالت لي هايزل إنك كنت فظة معها بعد ظهر اليوم.

أضافت بحذر وريقة شجر إلى الغصن:

ـ وكانت هي بالطبع حلوة وفاتنة ورقيقة.

اشتد ضغطه على شفتيه:

ـ ليست هذه هي المسألة. إنها ضيفة في هذا المنزل...

تردد قليلاً.. فأكملت عنه:

ـ وأنا نكرة. في المستقبل سأحني لها رأسي احتراماً.

ـ لأجل الله.. لم يكن هذا قط ما عنيته.

ـ ماذا تعني؟ إذن..

تنهد بتوتر:

ـ أعني أن الأمور معقدة بما يكفي، دون خلق تعقيدات إضافية.

عضت شفتها:

ـ أنا آسفة إن كان سوء تصرفي قد أفسد لك أمسيتك.

قال باقتضاب: لم يحصل هذا.

ـ سأكون متمدنة.. من الآن فصاعداً، وآمل أن تحذو الآنسة سنكلير حذوي.

ـ سأكلمها.. سأرى إن كان بالإمكان تليين الموقف. لقد أعطيتك وعد شرف.. فلا داعي لبناء كل هذه المتاريس.

ـ أنّه مكاني الخاص.. الذي أبنيه لنفسي طالما أنا هنا.. إنه مجالي الجوي الخاص.. وأرجوك أن تبدأ قريباً بالإعلان عن طلب بديلة لي قريباً.. فأنا أريد الرحيل في بداية كانون الثاني.

ـ لا تقلقي فأنا مستعجل أكثر منك.

كان هذا دون شك بضغط من هايزل سنكلير.. وتمنت بمرارة أن يخرج الآن ويتركها لأفكارها، وإن تكن مزعجة.

Scanné avec CamScanner

بدلاً من ذلك، التقط صورة الأحجية وتفحصها.

ـ . . . لقد انتهيت من الجزء السهل. من الآن فصاعداً، ستزداد صعوبتها طوال الوقت.

ففكرت وهو يغادر الغرفة. . لا داعي لإبلاغي بذلك. . وسمعته ينزل السلم. . وأدركت أنها ترغب في البكاء.

ـ أوه. . فلتذهب إلى الجحيم.

وأعادت قطع الأحجية إلى علبتها.

ـ من يريد تعقيدات أكثر من هذا؟

إنه لأمر غريب، كم أن كل شيء بدأ يستقر بسرعة في مكانه. . كم أن الحياة اتخذت روتيناً يومياً مستقراً. .

حين تكون تارا في المدرسة، يتسنى لها الوقت الكافي للتجوّل بحرية. . وبوجود السيارة، خرجت تستكشف المنطقة.

كان الطقس قد أصبح بارداً ورطباً، والشمس تشرق معظم الأيام. . واستطاعت أن تتنشق دخان الحطب في الهواء. . وهي منطلقة في السيارة.

إنها نهاية السنة. . وبالنسبة إليها نهاية حقبة كاملة من حياتها. . من يدري ماذا يخبىء لها القدر؟ يجب أن تبقى متطلعة إلى الأمام، لأن أي شيء آخر قد يسبب الآلام المبرّحة.

لم تعد ترى دومنيك كثيراً. . لحسن حظها. . كان يذهب إلى مكتبه في ميدبورتون في الصباح الباكر، وغالباً ما يعود لوقت قصير في المساء لتناول العشاء، ثم يخرج ثانية. . وقد تقبل غيابها عن مائدته دون تعليق. . وربما أراحه أن تأخذ هي المبادرة.

كان يبدو أنه وهايزل سنكلير لا يفترقان أبداً، ولو أن المرأة الأخرى لم تعد تهبط على المنزل كالصاعقة، حين يكون غائباً.

كانت التحضيرات لعيد الميلاد قد انطلقت بسرعة. . وراحت تارا تتدرب بابتهاج على عزف لحن «أواي أن مانيجر» وأضافت كلمات الأغنية إلى اللحن وكان صوتها المرتفع الحاد الصغير يتناهى بغصة إلى أذني فويبي.

بعد ظهر أحد الأيام، أخذت فويبي تارا من المدرسة وكانت باكية منهكة وهي تصعد السيارة.

سألتها فويبي بقلق: حبيبتي. . ما الأمر؟

ردت باكية: صفنا سيقدم تمثيلية في آخر يوم من السنة. . ولقد اختارت السيدة فرانكس بعد ظهر اليوم الأولاد الذين سيؤدون الأدوار. . واختارتني للقيام بدور مريم العذراء. . لكنني كنت أتمنى تأدية «أواي أن مانجر». وقالت السيدة فرانكس إنني غشاشة لأني أعرف الأغنية جيداً. . فقد حرمتني من أي دور. . أنا الوحيدة بين زملائي.

وبدأت تنتحب.

أمرتها فويبي بحزم: ابقي هنا. . سأرى ماذا أفعل.

كانت ابتسامة السيدة فرانكس لاذعة حين رأت فويبي.

ـ هل أستطيع مساعدتك؟

ـ أجل. . أريد أن أعرف لماذا استبعدت تارا آشتون، ربيبتي، عن تمثيلية الصف.

ـ إنها مسألة انضباط. . لقد ظلّ الدور الرئيسي سراً لكي يعطى كل طفل فرصته. مع ذلك تمكنت تارا من تقديم عرض متفوق. . وكان من الواضح أنها عرفت الدور بطريقة ما. . وتمرنت على تأديته لتميّز نفسها بطريقة غير عادلة. يجب أن تتعلم الآن أن الوسائل الرخيصة لن توصلها إلى أي مكان.

ردت فويبي: لقد تعلمت تارا الأغنية بالفعل. . لكن من خلال دروس البيانو لتقدمها كمفاجأة لأبيها في عيد الميلاد. وكون الأغنية ستقدم في التمثيلية هو مجرد صدفة.

ضمت السيدة فرانكس شفتيها: حسن جداً. . لا أملك دليلاً على ذلك سوى كلمتك. . لكن لا فرق. . تعاني تارا من مشكلة غرور منذ جاءت إلى المدرسة. لقد سمعنا منها الكثير عن عمل أمها في هوليود. . وقد يعلّمها ما حصل أن لا تميز نفسها عن الآخرين بتفاخر.

قالت فويبي وقد صدمها ما سمعت:

www.rewity.com

Scanné avec CamScanner

ـ إنّ كلامك هو من أشد الأشياء قسوة وأكثرها خلواً من الرحمة. وداعاً.

رفضت تارا دون تخطيط مسبق الذهاب إلى درس الموسيقى، وأسعدها الذهاب إلى البيت مباشرة.

حين دخلت المنزل سلمت تارا إلى كاري التي قادتها بعيداً، لتهدّىء من سخطها، وتقدم لها شراباً ساخناً وبسكويت. ثم أخذت نفساً عميقاً وراحت تبحث عن دومنيك.

كان يقف قرب منضدته في المكتبة وحقيبة أوراقه مفتوحة، يقرأ بعض رسائل الفاكس، وقد بدا عليه الانشغال. ترددت فويبي لحظة، ثم قرعت الباب المفتوح.

حين رآها، بدا كأنه أجفل للحظة.. ثم قابلها بابتسامة قصيرة.

ـ هل تريدين شيئاً؟

ـ أجل.. أخشى هذا.

شرحت له بإيجاز ما حدث اليوم في مدرسة «ويستكومب بارك» وأنهت كلامها: وتارا بالطبع متكدرة جداً، وأظنها معذورة.

قال بتجهم: أجل.. وأنت توقعت هذا.. أليس كذلك؟

وابتسم بتحفظ: لسوء الحظ.. لا أستطيع التصرف على الفور، فأنا مضطر للسفر الليلة، وقد أغيب أسبوعاً..

ـ قد تكون هذا ضربة مؤلمة أخرى.. خاصة وهي لا تكاد تراك هذه الأيام.

سأل بحدة: وهل اشتكت؟

ـ لم تقل الكثير.. وهي لن تفعل ما يتعدى ذلك.. ألا تستطيع تأخير سفرك ليوم واحد؟

ـ لا أستطيع.. هناك شركة كنت قد ساعدتها منذ مدة، وهي الآن تتعرض لتهجم عدواني بقصد السيطرة عليها.. أنا أحاول وضع اتفاقية لإنقاذها.

ـ وابنتك الصغيرة؟ ماذا عن اتفاقية تنقذها هي؟

التقت العينان الرماديتان بعينين يلوح الجليد في بريقهما.. ثم قال:

ـ إني أدفع لك أجراً لذلك.

ردت بارتجاف: هذا أمر شنيع يقوله أب.

ساد صمت مشحون، ثم رفع دومنيك يديه استسلاماً.. وقال:

ـ حسن جداً.. لا أستطيع شيئاً بخصوص هذه الرحلة.. لكنني أقسم، حين أعود...

قاطعته: لا تذكر الوقت الثمين.. وإلا ضربتك.

لم تصدق أنها تلفظت بتلك الكلمات. كما بدا على وجهه أنه هو كذلك لم يصدق ما سمع.

لكن القسوة تلاشت عن ملامحه، ليحل مكانها مرح متردد.. وقال برجاء:

ـ يمكنك المحاولة.. كنت على وشك القول إنني سأخصص كل وقتي لرعاية مصالحها، بما فيها مسألة المدرسة هذه.. فهل هذا كلام مقبول؟

ـ أنا آسفة.. كل ما في الأمر أنها تحبك كثيراً.. وتشتاق إليك أيضاً.

قال ساخراً: من الجيد أن تفكري بي.. نظراً لعنف مشاعرك.

نظر إلى ساعته.

ـ يا للسماء.. يجب أن أذهب.. هل تشاهد تارا التلفزيون؟

لم ينتظر ردها، فهزّت رأسها بالإيجاب قبل خروجه من الغرفة.

بقيت فويبي في الطابق الأرضي، تجنباً للتطفل، ثم سمعت رنيناً حاداً لجرس الباب دخلت على إثره هايزل سنكلير، لتدخل معها موجة من الهواء البارد الممزوج بالسم... وسألت بنفاد صبر:

ـ أين دومنيك؟ هل غادر؟

ـ ليس بعد.. لكنه يودع تارا.. وقد لا يريد أن يزعجه أحد.

نظرت هايزل إليها كأنها تنظر إلى حشرة.. وقالت بحدة:

ـ لا تكوني سخيفة.. هل هما فوق؟

ـ لا، إنهما في غرفة الجلوس الصغيرة.

Scanné avec CamScanner

تنهدت هايزل مستهزئة:

ـ المزيد من التلفزيون؟ كنت أعتقد أنك ستفكرين بشيء أكثر تنمية لذكاء الطفلة.. خاصة بالنظر إلى الراتب الذي يُدفع لك. لكنكن أنتن الفتيات متشابهات.. تخلقن جيلاً.. من البطاطس المهروسة، كي تتمتعن بحياة سهلة.

وسارت إلى الأمام، تاركة فويبي تلحق بها، وهي تتأجج غضباً.

ـ دومنيك حبيبي.

أتبعت تلك التحية الحلوة الرقيقة بتحية أخرى هشة:

ـ مساء الخير تارا.

بدت الدهشة على صوت دومنيك:

ـ هايزل؟ لم أكن أتوقع قدومك.

كان يجلس قرب النار وتارا دامعة العينين على ركبتيه... فأنزل الصغيرة بلطف، ووقف!

ردت هايزل: أعرف حبيبي.. لكن عليَّ اللّحاق بك. فلدي أخبار رائعة.. أنت تذكر أسرة كلايتانوس بالطبع.. هوارد وينيت؟ لقد استأجرا منزلاً في ضاحية «إنسبروك» لفترة الميلاد ورأس السنة.

قطب دومنيك: هذا جيد. لكنني لا أرى ما يجعلك تهرعين إلى هنا.

تنهدت هايزل، متعمدة: تلك كانت البداية فقط.. لقد تلقيت منهما دعوة لقضاء العطلة كلها هناك.

وأطلقت ضحكة خفيفة مثيرة:

ـ الميلاد في إنسبروك حبيبي.. طعام رائع، تزلج، ألن يكون هذا فردوساً؟

وافق بوقار: الجنة على الأرض.. وأتمنى أن يبقى الثلج لأجلك كثيفاً على مدار السنة.

كورت فمها بدلال: ليس لي فقط حبيبي، بل لنا معاً. فهما يريدان مني أن أصطحب معي.. صديقاً.

ساد صمت متوتر.. قطعه أنين بكاء تارا.. ثم صياحها:

ـ لا.. لن تأخذي دادي مني في عيد الميلاد، لن أدعك تفعلين.. أنت امرأة ساحرة عجوز وأنا أكرهك.

تكلم دومنيك وهايزل معاً، وقد تغير لون هايزل إلى القرمزي:

ـ هذا يكفي.

قالت هايزل بضحكة معدنية رنانة:

ـ حسن جداً.. بإمكان أي منا أن يرى من أصبح منفلتاً دون سيطرة..

والتفتت إلى فويبي: «وأن يرى السبب».

ظهر الوهن على تارا فوراً.. وأمسكت يد أبيها:

ـ دادي.. لن تذهب.. أليس كذلك؟ لن تتركني وحدي؟

هبط دومنيك أمامها على ركبتيه وقال بلطف:

ـ قد يكون الأمر محرجاً.. فأنت لم تتعلمي التزلج بعد.

قاطعته هايزل: دومنيك.. أخشى أن لا يكون هذا وارداً.. إنها حفلة للكبار. وليس لهوارد ولينيت أولاد.. وهما لا يستطيعان تحمل.. لن يرغبا في...

وتلاشى صوتها.

وقف دومنيك على قدميه.. وقال بهدوء:

ـ لن أرغب أنا كذلك إذن.

ـ أتعني أنك ترفض الدعوة؟ أوه.. لا أصدق هذا..

بدت الهستيريا لبرهة على هايزل، ثم استجمعت نفسها بضجر، وتمكنت من تصنع الابتسام:

ـ من الواضح أننا لن نستطيع مناقشة الموضوع الآن. يجب أن تذهب. لكن فكر بالأمر جيداً وأنت مسافر.. وسنناقش الأمر حين تعود.

ساد صمت قصير، ثم قال دومنيك: حسن جداً.

والتفت إلى فويبي: «خذي تارا إلى الأسفل لو سمحت.. لا بد أن وقت عشائها قد حان».

Scanné avec CamScanner

طبع دومنيك قبلة على شعر ابنته.

ـ والآن كوني طيبة مع فوبي.

قالت تارا عندما وصلا إلى غرفة نومها:

ـ أتمنى لو ترحل الآنسة سنكلير من هنا.

فكرت فوبي: وأنا كذلك.. لكن لديَّ إحساساً فظيعاً بأنها هنا لكي تبقى.

راقبتا معاً من نافذة الغرفة وصول دومنيك إلى الطريق الداخلية للمنزل، المشعة بالأنوار. وكانت هايزل إلى جانبه، ذراعها يتأبّط ذراعه، مستندة عليه بشكل حميم.. ووجهها مرفوع نحوه، تحدثه بلهفة وهي تبتسم.. كان واضحاً أنهما تخطيا خلافهما الأخير.

توقفا إلى جانب الرانج روڤر، ورأت فوبي أنه استدار نحوها، لتلفَّ هايزل ذراعيها حول عنقه، وتشده إليها.

استدارت فوبي، لعدم رغبتها في رؤية المزيد.

بعد لحظة انضمت إليها تارا بوجه صارم.

ـ فوبي.. هل تمانعين إن لم أتناول العشاء؟ لا أشعر بالجوع.

ثم ارتجفت شفتها: «لا أريد أن يذهب دادي معها».

حضنتها فوبي بسرعة: «لن يذهب.. هذا ما قاله.. سيكون كل شيء على ما يرام.. سترين».

وتمنت، من كل قلبها المثقل، أن تصدق ما تقول.

***

LOVE_Shades

١٠ ـ رجل من الماضي

استيقظت تارا في الصباح التالي محمرة العينين والوجه، تشعر أنها ليست بصحة جيدة.. وسعلت سعالاً حاداً، جعل فوبي تصدقها.. فاتصلت بالمدرسة تعتذر عن غيابها.

لم تكن هي نفسها بحال أفضل.. فقد أمضت ليلة قلقة، رأت فيها أحلاماً مزعجة، واستيقظت مصابة بالصداع.

صمتت تارا لحظات، ثم سألت:

ـ هل أستطيع النوم في غرفة دادي وهو مسافر؟

قالت فوبي بدهشة:

ـ لست أدري.. يجب أن نسأل كاري.

قالت تارا بثقة:

ـ ستدعني أفعل.

كان هذا صحيحاً.. فقد قالت كاري بدفء:

ـ بالطبع تستطيع، إذا كان هذا يجعلها تشعر بقربها منه.

كان هذا عائق آخر عليها أن تتخطاه.. فحتى تلك اللحظة لم يكن لديها عذر لدخول غرفة دومنيك. وفي المناسبات النادرة، التي يكون فيها الباب مفتوحاً، كانت تمر من أمامها مسرعة وقد أشاحت بوجهها جانباً.

إنها كغرفة «مصاص الدماء».. هذا ما خطر لها وهي تبتلع ريقها. لقد كانت أساساً للعديد من الكوابيس الليلية التي راودتها طيلة سنوات. وقد

Scanné avec CamScanner

يُسهم دخولها إليها، والقيام بعمل بسيط، في إبعاد تلك الكوابيس عنها إلى الأبد. لكن أنى لها أن تكون واثقة! فقد تجد نفسها مرة أخرى عرضة للدخول إلى عالم الذكريات المظلم المعذب.

أحست بتصلب فكها، وبقبضتيها تشتدان وهي تلحق بكاري إلى الغرفة.. ثم توقفت، وقد انفرجت شفتاها وشهقت في ذهول.. هذه ليست الغرفة التي تتذكرها.

لقد اكتست الجدران الحمراء القاتمة الآن بورق جدران عاجي ذي إطار ذهبي خفيف. واختفى السرير ذو القوائم الأربعة المرتفعة، ليحل مكانه سرير عصري واسع مغطى بغطاء ثقيل من المخمل البرونزي اللون.. كما تغيّر ما تبقى من الأثاث أيضاً.

استولى عليها الارتياح وهي تفكر: ما كنت لأعرف المكان قط.

أساءت كاري فهم تعابير وجه فويبي:

ـ رائعة.. أليست كذلك؟ لقد قام السيد دومنيك بتجديدها كاملة بعد انتهاء زواجه.. ولا لوم عليه.. فلا أحد يرغب في النوم بين ذكريات كتلك الذكريات.

ورددت فويبي في ذهنها: ولا ذكرياتي أيضاً.

أمضت تارا وفويبي اليوم بتزيين شجرة عيد الميلاد وكانت الصغيرة أكثر من سعيدة بتأدية هذه المهمة.

كان لدى تارا الكثير لتقوله لدومنيك خلال الاتصال الهاتفي.. وسمعتها فويبي تقفز باهتياج في الردهة.

وجاءت تارا راكضة: «دادي يريد التحدث إليك.. أرجو أن لا يكون غاضباً لأني لم أذهب إلى المدرسة».

وفكرت فويبي: وأنا كذلك.

لكن الصوت العميق كان مفعماً بالمرح:

ـ هل هذه هي الباكية الشاكية التي اضطرتنا إلى مواساتها بالأمس؟

ـ هذا ما يبدو.. هل أخبرتك أنها انتقلت إلى غرفتك؟ أرجو.. أن لا

تمانع.

ـ طالما أنها لا تعتبر ذلك ترتيباً نهائياً. فلدي خطط أخرى.

عضت فويبي شفتها: أجل.. بالطبع.

ثم أصبح صوته حاداً فجأة:

ـ هل أنت بخير؟

لا يفوته شيء وإن كان بعيداً.

ردت بإشراق زائف: «أنا بخير. أمضيت يوماً رائعاً».

ـ ولم يكن يومي سيئاً كذلك.. قد أعود في وقت أقرب مما توقعت.

وكرهت نفسها حين هلّل قلبها بسرعة عند سماع كلماته.. وقالت:

ـ هذا جيد.

ـ أرجو هذا.. على أي حال، لدي أشياء كثيرة نتحدث فيها.

قالت بسرعة: أعتقد أن لتعليم تارا الأولوية.

وسمعت ما يشبه التنهيدة:

ـ أجل.. أنا واثق من إحساسك هذا.. لكننا سنناقش التفاصيل حين أعود.. عمتِ مساءً فويبي.. اعتني بنفسك.

أعادت السماعة إلى مكانها وهي تشعر بتوتر نبضها.. كانت كلماته وديعة، وبدت كأنها تحضنها كذراعيه القويتين.

لكن، فات الأوان الآن للاعتناء بالنفس.

اعتقدت فويبي أنها ستجد صعوبة في وضع تارا في السرير ذلك المساء. لكن الصغيرة أطاعتها بسهولة. واندست تحت الأغطية في السرير الكبير مع لعبتها المفضلة.

قالت وكأنها تسرّ لفويبي بسرّ:

ـ كلّما أسرعت في النوم كلما مرت الأيام بسرعة، وعاد والدي.

قبلتها فويبي وتمنّت لها ليلة سعيدة.

نظفت فويبي الزينة غير المستخدمة في شجرة الميلاد، وقررت شراء بعض الزينة المبهرجة الجديدة.. ثم أحضرت السلم الصغير في محاولة أخيرة لتقييم

Scanné avec CamScanner

وضع الملاك على رأس الشجرة. وقالت مقطوعة الأنفاس بعد أن انتهت:

ـ هكذا أفضل.

رد عليها صوت رجولي من خلفها:

ـ أفضل بكثير.

أطبقت يداه على خصرها وحملها لينزلها عن السلم.

كانت وهي لا تزال في أعلى السلم قد تعرفت على هذا الصوت.. فانتزعت نفسها من بين يديه واستدارت، وقلبها يخفق ذعراً..

ـ توني.. توني كاثري.. ماذا تفعل هنا بحق السماء؟

بدا مذهولاً مثلها:

ـ أستطيع طرح السؤال ذاته عليك، أين دوم العجوز؟

نظرت إليه بكراهية:

ـ ليس هنا الآن. لا تقل لي إنه يتوقع حضورك؟

ضحك: لن أكذب إلى هذا الحد. لكنه يعرف أني أظهر هكذا دائماً. وما هو عذرك أنت؟

ـ أنا أعمل هنا.. أنا مربية ابنته.

ارتفع حاجباه: «أأنت جادة؟ حسن جداً.. دائماً ما نعود إلى الكتب القديمة.. إذن.. فقد نسيتما مقابلتكما القديمة وتم التسامح بها؟»

سارعت تقول:

ـ طبعاً.

ـ هذا رائع.. لكن دوم يعطيني انطباعاً معاكساً.

تقدم نحو الطاولة يصب لنفسه كوب عصير.

ـ أترغبين في الانضمام إلي؟ أوه.. لا.. لقد نسيت.. فأنت تفضلين عصير البرتقال مع المخدر.

قالت ببطء: أنت تثير اشمئزازي.

ضحك توني: لم يكن هذا ما تشعرين به، حلوتي. لقد مرّ وقت لم تستطيعي إشاحة عينيك عني.

ـ أعتقد أن من الأفضل لك أن ترحل.

ـ أتأمرينني بالخروج؟ أعتقد أن هذا يتخطى صلاحيات المربية، حبيبتي، خاصة حين توجهه إلى فرد من العائلة.

ابتسم بلؤم حين أجفلت:

ـ ألم تعرفي أنني ودوم قريبان من بعيد؟ هذا دليل على أنكما لم تناقشا يوماً ما حدث منذ ست سنوات.. وإلا لكان قال لك، بالتأكيد.

تذكرت فوبيي حديثاً سابقاً مع كاري.

ـ يا إلهي.. أنت ابن زوجة أبيه.

رد دونما اهتمام: لقد فهمت هذا دفعة واحدة.. إذن، لا زال الأمر سراً كبيراً.. كم أن هذا مؤسف، ومفيد في الوقت نفسه.

رفعت فوبيي ذقنها: ولماذا؟

ـ يجب أولاً أن تتوقفي عن إعطائي الأوامر.. هذا إن أردت لمحاولتك الفاشلة في الإغواء أن تبقى سراً.. ولا أظنك ستبقين هنا طويلاً إن عرف دومنيك من تكونين حقاً.. أتعتقدين أنه قد يسمح للفاسقة الصغيرة التي رماها خارجاً منذ ست سنوات، بالاعتناء بطفلته الغالية؟

هز رأسه بأسى، وأكمل:

ـ لقد أساء معاملتي حقاً.. لن أستطيع أن أغفر له.. وأنا الذي كنت أحاول تنظيم ترحيب به.. كانت سيرينا تستقبله على هذا النحو.. حين تكون في مزاج يسمح بذلك.. لكن المشكلة، أنها كانت تستقبل الكثير من الرجال بالطريقة ذاتها.. حتى أنا.. ولقد ضبطنا دوم معاً.. في غرفته..

أكمل كأنه يتألم.

ـ إنَّ عضلاته قوية. ولم أعد شخصاً مرغوباً به، كذلك المسكينة سيرينا. لذا حاولت أن أعيد له ذكرياته بتوفير تعويض له.. على أي حال.. إن شقراء على فراش، هي مثلها مثل غيرها.. سوى أنك كنت دون خبرة على الإطلاق.

نظر إليها من رأسها إلى قدميها وقد جعلت ابتسامته فوبيي تشعر بالخطر:

ـ في الواقع ربما كنت سأتمتع بك.. لديك جسد جميل حقاً.

Scanné avec CamScanner

أخذت فوبيي نفساً عميقاً: «أنا لا أعرف ما الذي تحاول تحقيقه.. لكنك لن تنجح.. وأريد منك أن تخرج من هنا».

ـ حسناً جداً.. هنا نحن مختلفان. أعتقد أن دوم ما زال يحتفظ بتلك العجوز الشمطاء كمدبرة للمنزل؟ ناديها، واجعليها تحضر لي وجبة طعام.

قالت فوبيي باختصار:

ـ إنها في الخارج.

اتسعت ابتسامته: «أعتقد أن أي شيء تطبخينه لي لن يفيدني. يجب أن أذهب إلى المطعم إذن.. هل ترغبين في مرافقتي؟».

ـ لا.. لا أريد.

ـ طبعاً.. فلديك طفلة تعتنين بها.

ـ أجل.. لكن هذا لا يمنعني.. فلن أخرج معك، حتى إن كنت حرة.

ـ كنت في ما مضى على استعداد لفعل أي شيء لكي تصلي إلي. يا لشدة تقلبك!

ـ لا.. لكني نضجت، هذا كل ما في الأمر.

كان لا يزال يبتسم، وقد غاب المرح عن عينيه الزرقاوين.

ـ إذن.. سآكل وحدي.

ـ كما أنَّ لديهم غرفاً للإيجار كذلك.

لقد أبدت شجاعة مطلقة.. هذا ما اعترفت به لنفسها بعد أن أصبحت وحدها.. ولكن هناك راحت تحدث نفسها: إهدأي.. ليس سوى مزاح مروع.. لا تدعيه يكسب.. لم يعد باستطاعته أن يؤذيك.

لكن هذا لم يكن صحيحاً تماماً.. فباستطاعته إن أراد أن يسبب لها الضرر الكبير.

من الواضح أن دومنيك كان يعرفه حق المعرفة.. لكنه وثق بها. وتريد أن يبقى الوضع على ما هو عليه. لن تستطيع مواجهة احتقاره.. ليس مرة أخرى. لأن هذا سيدمرها، وإلى الأبد.

جلست تلتقط الصحيفة.. لكن الكلمات تلاعبت أمام عينيها بضبابية

لا معنى لها.

حين رن جرس الهاتف، أجفلت بشدة. وخرجت إلى الردهة لتلتقط السماعة بيد مرتجفة.

قالت بارتباك: آلو؟

ـ فوبيي؟

شهقت:

ـ أوه.. دومنيك، هذا أنت.. هل ثمة خطب ما؟

ـ كنت على وشك أن أطرح عليك السؤال نفسه.

عضت شفتها:

ـ لا.. كل شيء على ما يرام.. إنني فقط مندهشة لسماع صوتك مجدداً.

ـ أردت أن أكلمك حين تبتعد تارا.. كنت سأذكر لك هذا الأمر ليلة أمس لكن أشياء أخرى طرأت. هناك متجر لبيع مصنوعات يدوية في ميدبورتون. فيه منزل مذهل للدمى.. وفكرت في حجزه كهدية الميلاد لتارا.. فما رأيك؟

ـ إنها تبدو فكرة جيدة حقاً..

ـ أريد أن تذهبي إلى هناك، وتلقي نظرة، وتحجزي الهدية إن أعجبتك. واختاري بعض الأثاث كذلك، واطلبي إرسال الفاتورة إلى مكتبي.. إنهم يتوقعون حضورك، قبل أن يقوموا ببيع الهدية دون علمنا.

تذكرت فوبيي منزل الدمى الذي كانت تمتلكه، وساعات السعادة التي كانت تمضيها والأيام البهيجة التي حُرمت منها.

ـ أوه سأحب هذا.. فهو يعوّضني عن...

وصمتت حين أدركت أنها كادت أن تخوض في موضوع خطر.

لكنه سأل: يعوّضك عن ماذا؟

اختلقت ردَّها بسرعة:

ـ أوه.. عن اكتئاب عام.. كما تعرف.

ـ وماذا حدث لليوم الرائع؟

Scanné avec CamScanner

ـ لقد . . انتهى .

ـ ويومي كذلك . . المكان موحش جداً هنا . . أتمنى لو أنني في منزلي .

اعترفت، دون وعي : وأنا كذلك .

كانت نبرته ضاحكة تخلو من السخرية :

ـ لماذا فويبي؟ . . هل أفهم أنك اشتقت لي .

ـ كنت أفكر بتارا .

ثم جعلها صوت منخفض تدير رأسها . . لتجفل عند رؤية توني واقفاً بالباب الموصل إلى المطبخ . فقالت لدومنيك :

ـ من الأفضل أن أذهب الآن .

ـ وتتركينني سجين غرفتي في الفندق، أشاهد التلفزيون؟ هذا ليس لطفاً منك .

بدا صوته غريباً . . وقد ظهر عليه الأسف . . لكن خطوط الهاتف لا تكشف الكثير .

ـ أنا واثقة من أن لديك الكثير من الأعمال . تستطيع القيام بها . . وأنا أمامي أشغال كثيرة .

قال باقتضاب، بمزيد من الضحك :

ـ أنا آسف إذن لإزعاجك . . أرجو أن لا تنسي بيت الدمى .

ـ سأهتم بذلك في الصباح الباكر، بعد إيصال تارا إلى المدرسة .

وضعت السماعة من يدها ببطء .

ـ كان هذا مخدومك المحترم كما أعتقد . يتصل ليتحدّث قليلاً قبل النوم . . كم أن هذا حميم . .

ـ ظننت أنك ذهبت إلى الفندق؟

ـ لا . . قررت أن أعد لنفسي سندويشاً بدلاً من هذا . لا أريد أن أعود لأجد الأبواب قد أوصدت في وجهي . هل عادت كاري؟ عليها أن تحضر لي الفراش .

ـ لا . . لم تعد بعد .

بدا عليه الامتعاض :

ـ لم تغيرك الأيام فويبي . . لكنك لم تكوني بهذه القسوة . أين تنامين أنت؟

ـ هذا ليس من شأنك .

هز كتفيه :

ـ أنت حرّة . . لكن لا تلوميني إن أضعت طريقي ودخلت غرفتك خلال الليل .

ـ حسن جداً . . أنا أنام في غرفة دومنيك .

ارتفع حاجباه :

ـ حقاً؟ هذا غريب؟ أم أن هذا ترتيب عادي بينكما؟ هل بدأ القلبان وبالرغم من كل شيء . . يخفقان خفقة واحدة؟

تنهد باستهزاء : هذا يفسر المخابرة الهاتفية .

قالت فويبي متوترة :

ـ أنام هناك لأبقى بصحبة تارا . . وهي الآن نائمة هناك . . فابق بعيداً .

هز توني كتفيه :

ـ عظيم . . لكنك لا تعرفين ماذا ستخسرين .

نظرت إليه فويبي، وقالت :

ـ بل العكس . . . أعرفه تماماً .

صعدت السلم لتجمع بعض الحاجيات من غرفتها، ثم دخلت غرفة دومنيك بهدوء شديد على رؤوس أصابعها .

كانت تارا تغط في النوم . ولم تتحرك حين رفعت فويبي الغطاء وتسللت إلى جانبها . . أحست بتعب رهيب، لكن النوم راوغها، فما أن حاولت الاسترخاء حتى شرعت في مراجعة فكرية لأحداث الأمسية .

كرهت دومنيك كل تلك السنوات . . وألقيت اللوم عليه لقسوته وقلة إحساسه . وكان هو طوال الوقت يؤنب نفسه ويعاقبها .

كيف شعر، وهو يرى زوجته مع ابن زوجة أبيه، الذي يفترض فيه أن يكون كأخيه؟ ثم . . بعد ذلك، يجد نفسه ضحية مزاح سادي ثقيل .

Scanné avec CamScanner

لقد استغلهما توني معاً، وخانهما.. لكن لا بد أن معاناة دومنيك، كانت أكبر بكثير من معاناتها.. وأن ألمه كان أكثر عمقاً.. وأشد حرارة. والخيانة التي تعرّض لها من المستحيل نسيانها أو غفرانها.

لم أر فيه سوى الغضب والازدراء.. لم ألحظ قط فيه الألم.. والإذلال. لم أتوقف لأسأل عن السبب وراء رد فعله المبالغ فيه والعنيف.. لم أفكر سوى بنفسي.

لكن هذا كله لن يحدث أي فرق، هذا ما اعترفت به لنفسها، متنهدة.. لقد كان مقدراً لها ولدومنيك أن يلتقيا في اللحظة الخاطئة من حياتهما.

لن تتسنى الآن اللحظة المناسبة.. لأن طريق دومنيك في الحياة باتَ مقرراً.. وستصحبه هايزل سنكلير في هذا الطريق.. في السرّاء والضرّاء.

استدارت جانباً تبكي وتبكي كل شيء.. الألم والضياع.. والتعاسة.

لكنها كانت تبكي بصمت، كي لا تزعج ابنة دومنيك النائمة إلى جانبها.

ولأنها في النهاية، لن يكون لها سوى العناية بتارا.. مسحة الحب الوحيدة التي ستجرؤ على تقديمها له.. والوحيدة التي قد يتقبلها منها.

في الوقت الذي تريد فيه حقاً، أن تهبه كل قلبها وروحها.

***

LOVE_Shades

١١ ـ لا تظلمني

كانت تنزل إلى الردهة، حين خرج توني من غرفة الجلوس، ووقف يبتسم لها.

ـ ها أنت إذن.

ردت باختصار: «يا لشدة ملاحظتك».

لكنه تعمد سد طريقها إلى الباب، وهو يقول:

ـ ستأخذين تارا إلى المدرسة؟ سآتي معك.

ـ لا داعي لهذا.

ـ ربما لا.. لكنني سآتي على أي حال.. أريد قضاء جزء من النهار مع شخص تسره رؤيتي.

ردت بحدة: «في هذه الظروف، لا يمكن أن تتوقع الترحيب الحار».

خرجت تارا مسرعة، وهي تفتح السيارة:

ـ عمي توني، هل أنت خارج في نزهة؟

رفعها بين يديه يديرها في الهواء.

ـ لا شيء سأحبه أكثر، يا ملاكي. لكن مربيتك تقول إن عليك الذهاب إلى المدرسة، سأقول لك أمراً حلوتي.. لِمَ لا آخذك إلى المدرسة هذا الصباح في سيارتي؟

قالت فوبي بسرعة وشراسة: «لا..».

ـ ابتهجي قليلاً فيب..

ها هو يضحك منها الآن علناً.

Scanné avec CamScanner

ـ لا تكوني مفسدة للملذات طوال حياتك.

اتجه إلى سيارته الرياضية الفاخرة المتوقفة في المدخل، وهو يحمل الصغيرة.

قال من فوق كتفه: «أنا آسف لأنها بمقعدين فقط.. أراك في ما بعد».

صبت كاري فنجان قهوة:

ـ ليس الخطأ خطأك.. إنه هكذا دائماً.. أناني، عنيد، ومصمم دائماً على الحصول على ما يريد.. سيبدو متألقاً في نظر الصغيرة في البداية.. ثم سرعان ما يتبدد هذا الإحساس.. اذكري كلامي.

ما إن صعدت فويبي إلى الطابق العلوي لتبديل المناشف، حتى اتصلت بمدرسة ويستكومب بارك. ولدهشتها وراحتها، عرفت أن تارا وصلت إلى المدرسة وأنها الآن داخل الصف، بدلاً من أن تذهب في مغامرة في مكان لا يعرفه سوى الله.

عاد توني بعد ذلك بعشر دقائق.

قال معلقاً: «قهوة.. ما هذا التمدن.. لاحظت أن شمطاء دوم لم تقدم لي الفطور هذا الصباح».

صاحت فويبي به:

ـ ما هي لعبتك التي تنوي أن تلعبها بحق السماء؟ تارا في عهدتي.. وليس من حقك أن تخالفني هكذا.

ضحك بلؤم: «أتخشين أن أخطفها؟ مستحيل.. إنها فاتنة، كأي ابنة قد تنجبها سيرينا..».

ـ أريد أن تتركها وشأنها، بأسرع وقت ممكن.

وجلس قبالتها: «لسوف أرحل من هنا سريعاً».

كررت في حيرة: «سترحل؟».

ـ تبدو عليك خيبة الأمل، حبيبتي الحلوة. لكن بالرغم من الضيافة المشرّفة، فعلي أن أنطلق وأبتعد من هنا.

ـ لم يكن هذا هو الانطباع الذي أعطيتني إياه ليلة أمس.

ـ حسن جداً.. ربما تسنى لي الوقت الكافي للتفكير جيداً.. الوقت لأدرك أنّ أخي العزيز لن يرحب بوجودي هنا.. أترين.. لدي قليل من اللياقة.

ـ ولماذا جئت إلى هنا أصلاً؟

ـ إنه شأن عائلي، حبيبتي.. لكن، بإمكانه أن ينتظر.

شرب قهوته ثم: «من المثير أن ألتقي بك مرة أخرى.. بالرغم من حدة الانفعال التي باتت تميز طبعك.. وتذكري أن زيارتي ستبقى سرّنا الصغير».

دفع كرسيه إلى الوراء وابتسم لها.

ـ وداعاً حبيبتي الحلوة. تمتعي بليلتك في فراش دوم، فحدسي يقول لي إنها لن تدوم طويلاً.

كانت فويبي لا تزال جالسةً تحدق في الفراغ حين عادت كاري بعد عشر دقائق.

ـ ظننت أني سمعت صوت سيارة.. هل رحل؟

ـ أجل.. لقد رحل.

ـ إذن كل شيء على ما يرام..

فكرت فويبي.. حقاً؟ كم أتمنى أن أكون واثقة من ذلك.

حاولت جاهدة طرد ظهور توني ورحيله المفاجىء بعيداً عن تفكيرها وهي تتجه إلى ميدبورتون.

كان محل المصنوعات اليدوية يقع في نهاية حيّ تجاري صغير. كان منزل الدمى أفضل مما توقعت، واسعاً، متين البناء.

قالت فويبي لمديرة المتجر: «إنه جميل.. لقد أحببته».

ضحكت المرأة: أنا سعيدة لأني سأرسله إلى بيت عريق.. كنا جميعاً مسرورين حين عاد السيد آشتون إلى ميدبورتون.

أخفضت صوتها: «هل لي أن ألقي نظرة على الأثاث؟».

مررت لها المرأة لها بطاقة:

ـ كله يدوي الصنع.. وقد دون اسم الصانع وعنوانه إن أردت صنع

Scanné avec CamScanner

شيء مميز.

قالت المرأة وهي تختم الفاتورة:

ـ لا بأس إن كنت تفضلين ترك الهدية والأثاث هنا حتى عشية الميلاد..

قبلت فوبيي العرض شاكرة: شكراً..

قررت أن تكمل ما تبقى من مشترياتها وهي لا تزال في ميدبورتون. كان يغمرها شعورٌ غريبٌ لامتلاكها المال، دون أن تضطر لتعداد كل فلس معها.

الميلاد آت وعليها شراء هدية لدومنيك. مما يشكل معضلة حقيقية. فإن أي نوع من الثياب، أو الزينة الرجالية، سيبدو حميماً نوعاً ما. إلا إن التزمت بنوع آخر أقل تعبيراً مثل الجوارب والمناديل التي لا تروق لها قط.

أخذت تتجول من محل إلى آخر، تبحث وتتفحص، وكاد اليأس يستولي عليها، إلى أن وصلت إلى محل صغير ومستقل لبيع الكتب.. ورأت في الواجهة طبعة ثانية رائعة التغليف لكتاب يروي تاريخ ما بعد الحرب.. وكان مزيناً بشكل أنيق وقد احتوى على صور توضيحية، وخصص فيه جزء كبير عن فيتون ماغنا.

لن يكون هدية ذات طابع شخصي.. لكنه مع ذلك سيكون مختاراً بعناية.. سيبقى الكتاب في المنزل حتى بعد رحيلها بزمن طويل، كذكرى ملموسة لمرورها فيه. فغلفته فوبيي بعناية بورق خاص وشريط أنيق.

لم تستطع الانتظار لتتحدث الى دومنيك تلك الليلة.. وأخذت تشير إلى تارا لإنهاء مكالمتها معه، لكي تتمكن من إبلاغه بأن المهمة قد أنجزت.. لكن تارا اجاءت راكضة لتبلغها أن دومنيك أنهى المكالمة دون أن يطلب التحدث إليها.

أحست فوبيي بإحباط لا مبرّر له. وأضافت تارا بابتهاج:

ـ أظنه كان مستعجلاً.. لكنه قال إنه عائد ليلة غد.

كان الوقت متأخراً حين عاد دومنيك. وكانت تارا في الفراش غاضبة لأن فوبيي لم تسمح لها بانتظاره.

لاحظت فوبيي أنه يبدو متعباً.. وتعساً كذلك. ربما فشلت خطة

الإنقاذ التي وضعها.

لحقت به إلى المكتبة حيث توقف ليفرغ حقيبة أوراقه، ثم نظر إليها وقد رفع حاجبيه متسائلاً.

لم يبتسم ولم يلق عليها التحية.. وكانت هي ترتدي القميص الأخضر الشاحب القصير الذي اشترته خلال جولتها في ميدبورتون.. فأحست فجأة بالبلاهة.. كمن ارتدت ملابسها استعداداً لاحتفال، لتجد أن الاحتفال قد ألغي.

سارعت إلى الظلام: «خطر لي أنك تودّ أن تعرف أنني سآتي بهدية تارا في ليلة الميلاد. فقد فكرت بإدخالها عبر باب المطبخ، وإخفائها في غرفة الغسيل..».

هز رأسه باقتضاب: «هل هي نائمة؟».

ـ لا.. لا أظنها قد نامت بعد.

ـ إذن سأصعد إليها.

عادت فوبيي إلى غرفة الجلوس تفكر أن من الواضح أن ثمة خطب ما.. لكن ما هو؟ كان يبدو مختلفاً جداً يوم تحدثا في الهاتف.. أكثر دفئاً، وأكثر إنسانية.. لكن قد تكون هذه هي المشكلة.. على أي حال، لقد أكدّ لها استحالة حدوث شيء بينهما.. وقد يرجع ذلك إلى تخليه عن تحفظه معها، وإن لبضع لحظات، وعلى بعد العديد من الأميال..

من الأفضل أن تترك العمل هذا المساء، وتستمع إلى الراديو في غرفتها... علّها تبتعد عن طريق دومنيك، حسب رغبته التي بدت واضحة.

وجدتها كاري في غرفتها بعد نصف ساعة.

قالت وقد لوت شفتيها:

ـ لم يكد يلمس عشاءه.. وهو يتناول القهوة الآن في المكتبة. ويريد أن يكلمك.

وسألت بارتباك: «هل قال عمّا يريد أن يكلمني؟».

هزت كاري رأسها وقالت متنهدة:

Scanné avec CamScanner

ـ إنه لا يقول شيئاً قطّ . .

كان باب المكتبة مقفلاً، فدقته بخفة، وانتظرت.

ـ ادخل.

كانت لهجته مقتضبة، وجافة لا تلين.

كان يقف قرب النار، ينظر إلى ألسنة اللهب. وقد وضع إحدى قدميه على السياج النحاسي. بعد أن بدل ملابسه، وخلع بذلة المدينة السوداء وارتدى جينزاً وكنزة عادية.

ـ أردت التحدّث إليّ؟

ـ أجل هناك بعض الأمور . . أولاً . . لقد كتبت إلى مدرسة ويستكومب بارك أعلمهم بأن تارا لن تعود إلى المدرسة في العام الجديد.

فقالت بارتياح:

ـ أوه . . هذا جيد وأنا واثقة تماماً من أنه القرار المناسب.

ـ أتعتقدين هذا؟ لا أستطيع القول إنني كنت معجباً بأحكامي مؤخراً.

صمت طويلاً . . ثم قال ببرود:

ـ انظري كم كنت مخطئاً في حكمي عليك.

ـ لست أفهم . .

لكنه قاطعها: «لا تكذبي علي فوبيي . . والأهم من هذا . . لا تجعلي ابنتي تكذب عليّ . . فهذا ما لن أغفره».

أحست كأنه صفعها: «أنا لم أكذب . . ولا أصدق أن تارا تكذب».

ـ وأنا كذلك . . كان ذلك حتى وقت مبكر من هذا المساء . . حين سألتها ما إذا كان توني كاثري في هذا المنزل أم لا . . وأقسمت أنه لم يكن هنا . . وهذا غير صحيح كما نعرف جميعاً . . أليس كذلك أيتها المنافقة البريئة العينين؟

لم تستطع سوى التحديق به بصمت وذهول. وتابع متشدّقاً:

ـ لا أستطيع التدخّل في حياتك العاطفية. وإن كنت أعتقد أن تجربتك السابقة قد علمتك درساً . . لكني أرفض أن تمارسي غراميّاتك تحت سقف منزلي، مع ذلك القذر . . وأنا واثق من أني لست مضطراً لأن أشرح لك

السبب.

التوى فمه بقرف واشمئزاز:

ـ لا بد أنك كنت تثقين به طوال الوقت . . حتى منذ ستّ سنوات.

صمت قليلاً، وأكمل: «كنتُ قد تمكنت حتى مجيئك إلى هنا . . من إبعاده عن محيطي. واعتقدت فعلاً أن أيّ علاقة كنت تقيمينها معه، قد انتهت منذ زمن بعيد . . وإن فكرت للحظة واحدة أنها متوقفة مؤقتاً».

وأخذ نفساً طويلاً قبل أن يكمل:

ـ لكن، أن تورطي تارا في هذا، وتجبريها على التغطية عليك . . . وأن تثقي بمرافقة بذلك النذل لها، وأن تتركيه يأخذها إلى المدرسة . .

اخشوشن صوته: «يا إلهي فوبيي . . كيف استطعت القيام بذلك؟».

كان يمطرها بقنبلة مدوّية إثر أخرى . . وأخذت الدنيا تدور بها . . فكادت تفقد اتّزانها وتعقلها . . . لكن يجب أن تسيطر على نفسها . . وأن تدافع بطريقة ما . .

ـ هل تعتقد أنه انتظر إذناً مني؟ . . لا بد أنك تعرفه أكثر من هذا . . وتارا أرادت الذهاب معه. فماذا يفترض بي أن أفعل؟ هل أركض وراء سيارته؟ لقد كنت ممتنة لوصولها إلى المدرسة سالمة.

ـ وأنا كذلك.

ـ لمجرد الفضول . . كيف عرفت بكلّ هذا؟

ـ لسوء حظك، كانت هايزل في المدرسة لحضور اجتماع إداري ورأته يوصل تارا . . ولم تصدق ما رأت.

ـ كما لم تستطع الانتظار لتصل إلى الهاتف، كما يبدو.

ـ إنها صديقة قديمة . . وتعرف الموقف . . وأقلقها ما حدث طبعاً . . ولقد تصرفت بأفضل النوايا.

ـ طبعاً . . بالنسبة «للنوايا» أعترف أني وكاري فضلنا أن لا نبلغك بزيارته . . وأن لا نفتح جراحاً قديمة . . لا أن نكذب عليك. ولو أنك سألت لكنا قلنا لك . . وكانت نيتنا طيبة كذلك.

Scanné avec CamScanner

سأل ساخراً: «ولماذا كانت تارا خائفة من قول الحقيقة؟ لماذا بكت بين ذراعي وقالت إنها وعدت بعدم البوح بشيء لكي لا يفسد عيد الميلاد؟ أي نوع من الضغط مارسته على الطفلة؟».

ـ أنا لم أطلب منها شيئاً كهذا. لا يمكن أن أفعل ولن أفعل.

وضربت قبضتها المشدودة في راحة يدها:

ـ كما لم أقم علاقة مع توني كاثري.. وإن كنت لا تصدق ما أقول، فاسأل تارا أين نمت تلك الليلة وستقول لك إنني كنت معها.

ضاقت العينان الرماديتان: «لماذا إذن جاء إلى هنا، إن لم يكن لرؤيتك؟ هو يعرف أنه ليس مسموحاً له الاقتراب من هذا المكان».

ـ لقد دخل، وادعى أنه قريب لك، أخوك من زوجة أبيك. وكان مرتاحاً كأنه في بيته.. ربما كان عليك إكمال ما بدأت وذلك بتغيير الأقفال.. لكنه لم يأت بحثاً عني.. فقد كان دهشاً لرؤيتي بقدر ما كنت مذعورة من رؤيته.

قال بازدراء: «وهل تظنينني أبله؟ وما دافعه؟ كان يقوم بمخاطرة جسيمة.. فقد أقسمتُ في آخر لقاء لنا أن أقتله إن رأيته مرة أخرى».

ـ هذا عذر آخر لإبقاء زيارته سراً.. وأنا آخر شخص يجب أن تسأله عن دوافع توني.

ضحك بخشونة: كنت تعرفينه جيداً منذ ستّ سنوات.

ـ لم أعرفه قط.. ليس شخصيته الحقيقية..

سحبت نفساً طويلاً مهدئاً:

ـ طالما أننا نتحدث في الموضوع.. منذ متى وأنت تعرف؟ أنا.. أعني.

التوى فمه: منذ ليلة اقتحامك مكتبتي، لتتهميني بأنني أب غير مسؤول.. أوه.. لاحظت بعض التغييرات السطحية، بالطبع.. كنت تخليت عن ذلك الشعر المستعار اللعين.. لكنك، لم تستطيعي إخفاء عينيك.

أرجع رأسه إلى الوراء:

ـ تلك النظرة الخائفة، المسحوقة، التي رمقتني بها وأنت تنزلين السلم. ظلت تلحقني لمدة طويلة.. ثم التقيت بها مجدداً.. في هذه الغرفة.

هز كتفيه: «فضلاً عن اسمك كذلك.. ليس هناك الكثيرات ممن اسمهن فويبي في الحياة».

قالت بمرارة: «لا.. لا أعتقد هذا.. إذن، طالما أنّك كنت تعرف طوال الوقت، لماذا لم تطردني ببساطة كما فعلت في المرة السابقة؟».

قال بصوت متكاسل: «لأنك أثرت اهتمامي.. بعدما رأيته من مدافعتك عن حقوق الأطفال، فقد بدا لي ذلك تحولاً غريباً.. ولأنك كنت حريصة على أن أوطد معرفتي بك، قررت أن أجاريك في لعبتك».

ردت بصوت كليل: يبدو أن عائلتك متخصصة في مثل هذه الألاعيب.

ـ وأنت أول من كان يشارك فيها.. ألا تذكرين؟.

ولمعت عيناه الرماديتان وهما تمران عليها في ثوبها الأخضر.

ـ لقد قال لي توني إنك كنت متشوقة للتطوع..

لفت ذراعيها حول جسمها:

ـ وصدقته؟

أخذ يبتسم، وهو يتذكرّ:

ـ لقد ترك لي رسالة تقول: «عودة سعيدة.. هدية ميلادك على فراشك» حتى ذلك الوقت لم أدرك ماذا كان يعني، إلى أن فتحت الباب ورأيتك هناك.

صمت قليلاً ثم قال بنبرة مهينة:

ـ و.. لا بد أن أعترف.. لا تظني أنني لم أحس بالإغواء حبيبتي.. فقد مر بي بضعة أسابيع كالجحيم، وكان من الممكن أن أعتبرك تعويضاً عنها.. بأن أحصل على امرأة توني دون تردد كما حصل هو على امرأتي. وإن لم يكن ذلك هو المخطط.. طبعاً. فقد كنتم تتوقعون ردة فعل كالتي أظهرتها تماماً، أن أتركك ترحلين دون أن أؤذيك.. دومنيك العجوز الطيب، الذي يعرف الجميع دائماً كيف سيتصرف.

قالت بصوت مرتجف: دون أن تؤذيني.. أهذا ما ظننت؟ يا إلهي! ألا تعرف أنه تم إذلالي.. وتحقيري.. إن كنت تظن بأن فشلك في مهاجمتي كان

Scanné avec CamScanner

نوعاً من «العفو»..

ضحك دومنيك:

ـ أهاجمك؟ لا أظنني كنت سأندفع إلى هذا الحد.. وربما اخترت الاختباء وراء هذه الواجهة الزائفة.. لكنك تخدعين نفسك.. لقد ضممتك.. ألا تذكرين؟ وأحست بعمق استجابتك.. أم أنك ستنكرين هذا؟

لم تستطع التفوه بكلمة واحدة.. لم تستطع أن تتكلم أو تتحرك. كان يجب أن تهرب، وتركض مبتعدة، فالخطر الحقيقي يحدق بها هنا.

وتابع بنعومة: «لا.. إنَّ الفتاة الحقيقية كانت هناك على فراشي تلك الليلة.. دافئة، وعلى أتم الاستعداد. هل تريدين أن أثبت لك هذا؟».

خطوتان أوصلتاه إليها والتفت ذراعاه حولها بقسوة تشدانها إليه بغضبٍ واضح.. كان صارماً شديد البأس كما عرفته أوّل مرّة.

لم تستطع أن تتنفس، أو أن تفكر بوضوح.. لكن غريزة الهرب، وقبل فوات الأوان، كانت لا تزال قوية. حاولت دفعه عنها، لكن صدره كان كجدار حديدي يصدُّ يديها المذعورتين.. وشعرت بخفقات قلبه السريعة تحت أصابعها..

وأدركت.. أن الوقت فات.. بالفعل.

أحست بنفسها تتوه في حضنه وقبضته.. بعد أن أخذت إحدى يديه تملس وجنتها بثقة كاملة.

أحاط وجهها بيديه.. ونظر إليها. فأحست بنفسها ترتجف تحت وطأة نظرته الحادة.

قال بهدوء: «أنت كوردة شاحبة حلوة.. من لحم ودم».

رأت النار تتراقص في الموقد خلفه.. نظر دومنيك إليها بنعومة ورقة، كما لو أنه يراها للمرة الأولى فأحست بروحها تزهر في عينيه الرماديتين الناعستين. وراح يعانقها ويضمها إليه بحرارة.

ما من أحد عانقها بهذه الطريقة.. كان يثير فيها مشاعر حب خالصة لم تعهدها من قبل، بعثت في نفسها بهجة غريبة تملكت كل ذرة من روحها.

فجأة أدركت أن الدموع تغمر خديها.. ودومنيك يلامس هذه الدموع بشفتيه. ويقول هامساً: «لماذا البكاء..».

ابتسمت له وهي ترتجف.. كيف تقول له إنها لا تعرف ما الذي هزّ كيانها، لأنها لم تعرف من قبل ما يشبه هذه المشاعر العميقة الصادقة؟

تعالى رنين جرس الهاتف. لكنها أمسكت بذراعه:

ـ لا ترد عليه.

ـ يجب أن أرد.. وإلا ستأتي كاري لتعرف سبب عدم ردي.

حرر نفسه منها بلطف، وتقدم إلى المنضدة.

رفع السماعة، ورأت فوبيي وجهه يتبدَّل وهو يصغي.

أحست بالبرد فجأة.. فمدت يدها تسوي فستانها وسمعته على الهاتف:

ـ مساء الخير سيرينا.. لمن أنا مدين بهذه السعادة؟

توقفت فجأة.. تنظر إليه بذهول.

قطب حاجبيه وهو يصغي إليها، ثم قال أخيراً بلهجة عاديّة:

ـ إن كان هذا ما ترغبين به.. تارا ستبتهج كثيراً... بالطبع.

ساد صمت آخر.. ثم: «أجل بالطبع.. ليلة سعيدة».

أعاد السماعة إلى مكانها بهدوء، ثم تقدم عبر الغرفة ليصب لنفسه القهوة الجاهزة.

قال بتركيز: «زوجتي السابقة.. ستأتي لقضاء الميلاد معنا.. ومن الأفضل أن أزف الخبر لكاري».

نظر إلى فوبيي، وكان وجهه شاحباً غريباً.

ـ أعتقد.. نظراً للظروف، أن من الأفضل أن أخرج. ألا تظنين هذا؟

وارتشف قهوته، ووضع الفنجان من يده، وخرج من الغرفة.

وتركها هناك.. وحيدة..

***

Scanné avec CamScanner

LOVE_Shades

١٢ ـ لأني أحبك

قالت تارا: «تحققت أمنيتي.. مامي ستأتي إلى هنا في عيد الميلاد».

ابتسمت فويبي غصباً: بالطبع ستأتي.

كانت تشعر بنفسها مسحوقة تماماً.. وقد مزقت أحاسيسها الأحداث التي جرت في الأربع والعشرين ساعة الماضية.. وفكرت بأنها حمقاء لأنها دوماً تذوب بين يديه ثم يرفضها.

لم تتذكر كيف هربت إلى غرفتها ليلة أمس.. لكنها تمكنت من ذلك بطريقة ما. فقد وجدت نفسها في وقت متأخر من الليل مستلقية ترتجف برداً، فوق الفراش وقد تبلّلت الوسادة بدموعها.

خلعت ثيابها واندست تحت الأغطية، تحدق في الظلام مسمّرة العينين، تحاول عبثاً التوصل إلى فهم ما حدث.

إنها حمقاء.. حمقاء.. لقد وقعت من رأسها حتى أخمص قدميها بين أحضان دومنيك... مسحورة بعناقه، مغوية بلمساته.. ووضعت دماغها في حالة توقف، لتترك أحاسيسها تتولى زمام أمرها.

ستضطر إلى مواجهته.. في وقت ما، خلال النهار، وستعرف أنه يتذكر، كما هي تتذكر عناقهما المشبوب ذاك.

وأنى له أن يصدق أنه وحده من أزال كل دفاعاتها؟ وأنها استجابت لعناقه لأنها تحبه، ولأن الحب يولّد الثقة؟

لكنّه ليس مضطراً لتصديقها.. ذكرت نفسها بألم.. ولن يرغب بذلك.

تنهدت وهي تفكر: «عليّ الآن مواجهة العالم الحقيقي.. عليّ إيصال تارا إلى المدرسة، وتحمّل اهتياجها الطبيعي بسبب عودة أمها».

سألت تارا: هل دادي غاضب مني؟

توقفت فويبي أمام أضواء المرور: «لا.. ولماذا يغضب؟».

ـ لأنني كذبت عليه بخصوص عمي توني.. ما كان يجب أن أنفوه بكلمة عن وجوده هنا، وإلا لمنع مامي من المجيء لرؤيتي.. وراح دادي يسألني ويسألني.

قالت فويبي بلطف: «اسمعي صغيرتي.. أعتقد أن الحل المثالي هو أن تنزعي العم توني من فكرك إلى الأبد.. لم يكن من حقه أن يدفعك إلى الكذب.. وعلى أبيك أن يغضب منه لا منك أنت».

ـ أتساءل متى ستصل مامي؟

بعد انتهاء الغداء، عادت إلى العمل في ألبسة الدمى.. كانت تجلس في غرفة الجلوس، وقد أحنت رأسها، وانهمكت في بنطال صغير، حين سمعت صوتاً خفيفاً جعلها ترفع رأسها.

كان دومنيك يقف بالباب يراقبها، فنظرت إليه.. وشعرت برعشة لم تستطع السيطرة عليها، تغرق جسدها كلّه بحرارة شديدة. وضعت القماش جانباً قبل أن تستلم للإغواء وتغز قلبها بإبرتها.

فخطر لها أنّ التزام الكلام الرسمي هو مفتاح الخلاص.

ـ هل أردت أن تكلمني؟

قال: «هناك أمور يجب أن تقال.. حول ليلة أمس..».

قاطعته بصوت متصلب:

ـ ما من شيء يقال.. كنت مصمماً على إثبات وجهة نظرك، وقد نجحت.. فأنا أفتقر لأي ذرة من الإرادة.. كما قلت تماماً.. والآن أيمكننا نسيان الأمر؟

ـ ليس الأمر بهذه البساطة.

ـ ولم لا.. من المستحيل أن أقاضيك بتهمة التحرش. كما لا أنوي

Scanné avec CamScanner

مقايضة الأسرار الطفولية مع الآنسة فان.

قال بحدة: «لأجل الله فوبي، ألا ترين مدى استحالة الموقف كلّه؟».

ـ أتريد مني أن أوضب حقائبي؟

لم تكن تظن نفسها قادرة على إظهار هذا القدر من القسوة.

ـ لا.. على الأقل ليس بعد.. أشعر أن علينا اعتبار اتفاقنا سارياً..

تصنعت الابتسام وهي تقول:

ـ لا.. سأبقى حتى السنة الجديدة.. كما وعدت.. ولا تقلق.. فأنا لم أعد بحاجة إلى براهين أخرى تثبتُ مدى غبائي.

قال بصوت أجش: «فوبي.. لأجل الله».

أكملت كأنه لم يقاطعها: «وكما عرفت كذلك لماذا كذبت تارا بشأن توني.. لقد ضغط عليها. ادعى أنه قادر على إلغاء زيارة أمها إن هي أفشت السرّ».

ـ لكن تارا لم تكن تعرف بقدوم أمها حتى هذا الصباح حين قلتُ أنا لها ذلك.

ـ بل كانت تعرف.. فقد ذكرت أمامي احتمال قدوم أمّها منذ مدة..

قال متجهما: «كان عليّ أن أعرف، فسبرينا قلما تدفعها غريزتها في ما تفعل. يبدو أنني مدين لك باعتذار. اعتذار من سلسلة اعتذارات».

قالت بسرعة: «لا.. لا بأس بهذا.».

اندفع هواء بارد عنيف مع انفتاح باب المنزل فجأة.. ومن الردهة نادت هايزل سنكلير بنفاد صبر.

ـ دومنيك؟ دوم حبيبي.. أين أنت؟

استدار دومنيك نحو الباب، لكنها دخلت الغرفة قبل أن يلاقيها خارجاً.

تقدمت إليه مبتسمة: «رأيت سيارتك في الخارج».

مدت يديها إليه تحثه على تقبيل خديها، وأكملت:

ـ لم تعلمني بعودتك الى المنزل.. يا لك من ولد سيء! كنتُ مارة من

هنا وخطر لي أن أعطيك هذه التذاكر لسهرة الميلاد التي تقيمها المدرسة.. يوم الأربعاء القادم.

قال بأدب: «هذا لطف منك، لكنني لا أعتقد أننا سنحضر».

ـ أوه حبيبي.. أنت لست غاضباً؟.. لأن تارا لم تحصل على دور بارز؟

نظر إليها بتأمل: «كنت تعرفين بهذا الأمر. أليس كذلك؟»

ـ طبعاً.. فأنا من مجلس الإدارة على أي حال، وأعتقد أن «الثائرة» الجالسة هناك أحدثت جلبة لا داعي لها حول الموضوع.. لم يكن من شأنها التطفل في شؤون المدرسة الداخلية.

قال دومنيك بلطف: «حسن جداً.. لن يكون هذا أمراً ضرورياً بعد الآن.. فسأسجل تارا في مدرسة فيتون ماغنا الابتدائية للسنة القادمة، ولن أهتم كذلك بشؤون ويستكومب بارك الداخلية».

لم يكن في ضحكة هايزل أي نوع من المرح.

ـ أتعرف أنك تتصرف بسخف غير منطقي؟ فالمسألة كلها ليست سوى زوبعة في فنجان. ولا يحقّ لتارا أن تتوقع تمييزها عن الآخرين بسبب أمها.

ـ بالطبع لا.. لكني لا أعتقد أن للتمييز شأناً في هذا!.. لقد أبعدت عمداً عن الحفلة كلها.

ـ أنا واثقة من وجود سبب مقنع.

ـ ربما ترغبين في كشفه لي؟

هزت كتفيها: «أنّى لي أن أعرف؟».

ـ أنت لا تحبين تارا.. أليس كذلك هايزل؟ كنت غاضبة جداً ذلك اليوم حين صاحت في وجهك.. فهل هذا هو انتقامك؟

ردت هايزل بوقار مصطنع: هل تعتبرني وضيعةً إلى هذا الحد.

ـ لست مقتنعاً بالعكس.

حاولت افتعال ضحكة لكنها لم تنجح:

ـ دومنيك حبيبي.. لا أصدق أننا نجري مثل هذا النقاش.. فنحن.. أنت تكاد تكون مهيناً.. والآن.. دعنا ننسى كل هذا الهراء، سنذهب إلى

www.ewity.com

Scanné avec CamScanner

مركز التزلج معاً يوم الأربعاء. ولكي أبرهن لك أنّ ما من ضغينةٍ بيننا، سأتصل بالسيدة فرانكس.. بإمكان تارا أن تلعب دور أحد القرويين.

هز رأسه: «أنا آسف هايزل. ستكون سيرينا هنا، وسترغب تارا بقضاء وقت مع أمها».

ـ سيرينا..

اختنق الاسم في حنجرتها:

ـ عم تتحدث؟

هز كتفيه: «ستأتي إلى هنا لقضاء الميلاد».

ـ وستدعها تفعل.. بعد كل ما حدث؟ لا بد أنك مجنون.

وارتفع صوتها إلى حد الصياح.

قال بصوت صارم:

ـ صحيح أن تارا تقيم معي.. لكن لسيرينا الحق في رؤيتها.. وقد اختارت أن تمارس هذا الحق يوم الميلاد.. وأنا سأحتاج إلى سبب قوي لأمنعها.

قالت بلهفة:

ـ لكن لديك العذر.. فقد دعينا إلى التزلج، ألا تذكر؟ بإمكاننا أن نضع تارا في مكان ما..

حاولت فويبي أن تغوص تحت وسائد الأريكة.. يا إلهي.. هذا أمر شنيع.

سأل دومنيك ساخراً: «كواحدة من القرويين؟ هذا ما لن يحدث هايزل.. لكني واثق من أنك ستتدبرين أمرك».

ظنت فويبي لبرهة أن هايزل ستفقد أعصابها تماماً.. وحضرت نفسها للانفجار الكبير. ثم استدارت المرأة.. وكادت تركض خارجة من الغرفة.. ليسمعا بعد لحظة هدير محرك سيارتها، وهي تنطلق وصوت الحصى يتطاير من تحتها.

قالت فويبي:

ـ هذا.. لم يكن لطيفاً منك.

ـ فويبي.. أنا لا أشعر باللطف.. لكن بالنظر إلى الطريقة التي عاملت بها تارا، فقد كنت أكثر من لطيف معها. كانت تسعى لإثارة المشاكل كذلك حين أبلغتني بأنها رأت توني في المدرسة.

احتجت فويبي: «لا يمكن أن تكون واثقاً من هذا».

ـ بلى.. فكما قلت لك.. أنا أعرف هايزل منذ زمن طويل.. لم تنجح علاقتنا في السابق، ولن تنجح قط اليوم.. والآن، سيتغير كل شيء على أي حال.

ـ لماذا؟

قال بلهجة الأمر الواقع:

ـ لأن سيرينا ستعود.

وضعت فويبي علبة الخياطة مجدداً تحت الأريكة وقالت:

ـ لقد حان وقت خروج تارا من المدرسة.

وخرجت.

عندما وصلت سيرينا ثان صباح يوم الأربعاء. نزل السائق واستدار ليفتح الباب الخلفي، وخرجت سيرينا ثان ببطء ورشاقة. كانت أطول قامة مما ظنت فويبي، وشعرها الأشقر يميل إلى الاحمرار.

وقفت سيرينا تتفحص المنزل بنظراتها. فانكمشت فويبي خلف الستائر، بالرغم من وقوفها في مكان لا يراها فيه أحد.

تنهدت فويبي بتعاسة... وذهبت تجلس إلى طاولة غرفة الأطفال وهي تحمل كتابها. إنّ أي نوع من جمع الشمل العائلي الذي يجري الآن في الطابق الأرضي.. هي ليست جزءاً منه.

مرت ساعة تقريباً قبل أن تأتي كاري تبحث عنها، متجهمة الوجه.

ـ تريد أن تقابلك.. إنها ممتلئة لطفاً ومرحاً.. وأنا أثق بها بقدر ما أستطيع رميها خارجاً.. لقد جاءت لتارا بجرو، وها هو يعبث في الردهة الآن.

Scanné avec CamScanner

تطلعت فوبيي إلى دومنيك أول ما تطلعت حين دخلت إلى غرفة الاستقبال. . كان يقف قرب المدفئة، وكانت تعابير وجهه مبهمة. . لكن عينيه كانتا مركزتين بثبات على زوجته السابقة. . والجرو الذهبي اللون ينام عند قدميه.

كانت سيرينا فان متكئة على إحدى الأريكتين وهي تحتضن تارا إلى جانبها. . عندما أخذت عيناها تتفحصان فوبيي بلغتا من الزرقة القاتمة ما يقرب الى السواد.

قال الصوت الجميل: «إذن. . أنت فوبيي. أنت هي الفتاة اللطيفة التي كانت تعتني بأغلى كنز لديّ. . إني ببساطة لا أستطيع شكرك بما يكفي. . إنه أمر فظيع أن أقيم على بعد آلاف الأميال عنها وأتصور أنها تعيش مع غرباء».

تمتمت فوبيي: لا بد أن هذا صحيح.

نظرت حولها في الغرفة، متنهدة: أوه. . لقد غبت زمناً طويلاً.

وحضنت ابنتها بسرعة: «ولكن مامي قد عادت الآن حلوتي».

ابتسمت لدومنيك مجدداً.

قالت سيرينا لابنتها: «حبيبتي. . أتريدين رؤية ما أحضرته لك».

تدخل دومنيك بهدوء: «سنتبادل الهدايا صباح الميلاد».

أشارت سيرينا إلى علبة مسطحة كبيرة مربوطة بشرائط.

ـ أوه. . لا أستطيع الانتظار. . إنها هناك.

كانت الهدية معطف فرو. . وخطر لفوبيي وهي تراقب تارا تعرضه بطاعة، جبنةً وذهاباً، أنه مبتذل شنيع، ثم عادت ووبخت نفسها على سفاهتها

قرر الجرو أن يستفيق. . وبدأ يتجول في الغرفة. قال دومنيك فجأة:

ـ إنه يريد الخروج. . تعالي تارا نأخذه إلى الحديقة فلن ترغب كاري بأي أوساخ في المنزل.

قالت سيرينا بعد إقفال الباب وراءهما:

ـ مسكينة كاري. . أتساءل عما إن كانت لا تزال صالحة لهذا العمل.

ردت فوبيي: صالحة جداً.

ـ حسن جداً. . سوف أحكم على هذا بنفسي. . لا أحد يعرف متى تغير ديكور هذه الغرفة آخر مرة. يجب أن أتولى أمر هذا المنزل بنفسي.

سألت فوبيي بحدة:

ـ وقت الميلاد؟

انفرجت الشفتان القرمزيتان لتكشفا عن أسنان مكتملة:

ـ لقد قلت لدومنيك إنني قادمة لقضاء الميلاد، لكن هذا ليس صحيحاً تماماً. . لقد فكرت بالأمر مطولاً. وقررت أن نجمع شملنا من جديد. . لأجل تارا.

أحست فوبيي كأن يداً أطبقت على عنقها، تكاد تقصر الحياة منها. . لكن صوتها كان طبيعياً بشكل مدهش وهي تقول:

ـ هل عرف السيد آشتون بهذا؟

أجابت سيرينا بتكاسل:

ـ ليس بعد. في الواقع خطر لي أن أقول له ذلك الليلة. . ذلك هو دائماً الوقت الأنسب.

مرت العينان الزرقاوان القاتمتان على فوبيي.

ـ اذهبي الآن وأحضري لي شراباً. . أريد أن أحتفل. . عزيزتي. . أتسمحين؟

خلال العشاء. . تذمرت سيرينا من الطعام الذي حضرته كاري بطريقة جميلة، محتجة بأن الجميع الآن يتحولون إلى نباتيين.

لكن ليس إلى الامتناع عن أمور أخرى مضرة كما يبدو. . هذا ما خطر لفوبيي وهي تراقب سيرينا.

ولاحظت كذلك، كم كان دومنيك مستغرقاً في النظر إلى زوجته السابقة. . وكيف أن عينيه لم تفارقاها لحظة. . وبدأت فكرة الصلح تبدو أكثر وضوحاً مع مرور الدقائق.

حدثت فوبيي نفسها بتعاسة: إنه يبدو كالدمية أمامها وما عليها سوى أن تشد الحبال.

طفح الكيل حين ذهبت فوبيي بعد العشاء إلى غرفة الجلوس لتجد على

Scanné avec CamScanner

السجادة كومة من الخشب المعلوك والقماش الممزق. . كان الجرو قد سحب القماش الذي خاطته من تحت الأريكة، وحطم دمى تارا. . شعرت فويبي برغبة في البكاء وهي ترمي كل شيء في النار، قبل أن تراه تارا.

كان اليوم كالجحيم. . وأطفأت النور في غرفة ألعاب تارا.

أطلت على غرفة نوم الصغيرة قبل أن تذهب إلى سريرها. كانت الفتاة مهتاجة جداً، واحتجت بشدة وصخب لعدم السماح للجرو بأن ينام في غرفتها. . ومنعها من ارتداء معطف الفرو في الفراش. . لكنها الآن تغط في نوم عميق.

قالت فويبي في نفسها: يجب أن أكون مسرورة لأجلها. . وأحست بألم حاد في حلقها. هذا ما كانت تريده دائماً. . أمها وأبوها معاً مرة أخرى. . لكنني لا أستطيع. لا أستطيع. . .

ازدادت حدّة توتّرها حين وصلت إلى غرفتها، واكتشفت أنها تركت حقيبتها، والكتاب الذي تقرأه، في غرفة الجلوس الصغيرة في الطابق الأرضي، حيث أمضت بقية الأمسية، فلم تكن قادرة على احتمال المزيد من جمع «العائلة السعيدة» في غرفة الاستقبال.

قررت في البداية أن تستغني عنهما. . لكنها أدركت أنها لن تتمكن من النوم فوراً، وهناك الكثير مما يشغل بالها.

سأنزل وأحضر الحقيبة والكتاب.

ارتدت روبها بسرعة، ونزلت السلم بهدوء إلى الردهة الرئيسية، ولكنها توقفت في الظلّ حين سمعت باباً ينفتح في مكان ما.

خرجت سيرينا فان من غرفتها. . كانت ترتدي غلالة نوم سوداء رقيقة من الشوفين الشفاف. .

وقفت فويبي في الظل، تراقبها وهي تتجه إلى باب غرفة دومنيك. . ثم تدير المقبض بهدوء وتتسلل إلى الداخل.

لقد تم جمع الشمل إذن. .

***

LOVE_Shades

١٣ ـ ارحلي. . . حبيبتي

نظرت سيرينا بغموض إلى آلة التصوير، ثم قالت:

ـ أحياناً. . يمر وقت طويل قبل أن يحدد المرء أولوياته الحقيقية. وأنا سعيدة لأني تنبهت لها قبل فوات الأوان.

كانت المقابلات مستمرة منذ أكثر من أسبوع، من صحيفة «فليت ستريت» إلى الصحيفة المحلية الأسبوعية. . وفي كل مرة كانت تارا تتحضر للتصوير، في فستان أنيق جاءت به سيرينا لهذا الغرض.

حتى دومنيك، ظهر في صورتين. . كان يقف غير مبتسم على السلم وسيرينا متعلقة بذراعه. .

لقد عادت سيرينا إلى موطنها لأنها لم تعد تحتمل الفراق عن ابنتها الصغيرة. . هذه هي الرسالة التي أدلت بها. . وكانت تلك المرة الأولى التي تثار فيها هذه المسألة. يبدو أن العاملين في تلفزيون «فيستفال» قد قاموا بتحضير كل الأسئلة.

ـ ستقيمين مع زوجك السابق في فترة الميلاد. . أوليس هذا أمراً غريباً؟

هزت سيرينا كتفيها:

ـ فترة الميلاد هي وقت الاجتماع العائلي. وبوجود طفل في العائلة، على المرء أن ينسى الماضي. . والخلافات السخيفة.

نظرت المذيعة إلى تارا الجالسة قرب أمها، وقد بدت تعيسة في فستان مخملي أسود ذي ياقة من الموسلين الأبيض.

Scanné avec CamScanner

- وماذا عنك تارا؟ هل ستصبحين ممثلة كأمك؟

قالت تارا: تقول أمي إنني ممثلة . . وتقول إنني سأمر بتجربة تصوير .

ارتدت عينا الصحافية إلى سيرينا :

- هل هذا صحيح؟ هل ستكون تارا الطفلة النجمة الجديدة؟

أطلقت سيرينا ضحكة رنانة :

- أوه . . إنها صغيرة جداً لتفكر بأمرٍ كهذا . . أريد منها أن تتمتع بطفولة سعيدة مستقرة .

قالت تارا :

- لكنك قلت . .

ثم صمتت حين التفت ذراع الأم الحبيبة بشدة حولها . . وانتهت المقابلة .

رفعت سيرينا أصابعها باتجاه فويبي وقالت :

- قدموا القهوة .

ووقفت من مكانها وراحت تتجادل بصوت منخفض غاضب مع منتج المقابلة .

رمت تارا الثوب المخملي الأسود على السرير :

- أكره هذا الفستان .

وارتدت بنطالها الجينز والقميص .

- إنه يزعجني . . وأنا أكره أن تؤخذ صوري طوال الوقت . . الأمر ممل .

سألتها فويبي بلطف :

- هل لديك مزيد من التذمر تخرجينه من صدرك؟

أخذت تمشط شعر الفتاة، وصمتت تارا لحظات :

- لماذا تبدو مامي غاضبة كثيراً بعض الأحيان؟

- أنا واثقة من أنها لا تتعمد ذلك .

لو كانت صادقة، فإن مزاج سيرينا الزئبقي كان يدفع المنزل كله للانفجار .

ما عدا دومنيك، طبعاً . . قد تساهم الليالي التي يمضيانها معاً في

التعويض عن الجو العكر المتقلب خلال النهار .

لم يكن يرى أحد منهم كثيراً، لأنه دائم الانشغال بعمله . . وكانت هي تصبح هادئة، ومرحة حين يصل إلى البيت في المساء .

ارتجفت شفتا تارا : سيزداد غضبها لأنني تكلمت عن تجربة التصوير السينمائي . . من المفترض أن يكون هذا سرّاً كبيراً .

حقاً؟ وعضت فويبي شفتها . . لماذا؟ عجباً؟

قالت بصوت مرتفع وهادىء :

- من المؤسف إذن أن تجدي التصوير مملاً . . إن كنت ستشاركين في الأفلام، فإن الكاميرا ستوجه إليك طوال الوقت . . فهل أنت واثقة أن هذا ما تريدينه فعلاً؟

حركت تارا أنفها بحزن .

- لا أريد أن أتركك أنت ودادي .

- حسن جداً . . لا أتوقع حدوث ذلك . . فالقانون يفرض عليك البقاء مع دادي .

- لكنه، حين يتزوج مامي مرة أخرى ستتمكن من أخذي معها إلى كاليفورنيا . . هي قالت هذا .

ابتلعت فويبي ريقها . . وقالت ببطء :

- أجل . . أعتقد أنها قد تفعل .

سألت تارا بلهفة :

- أتأتين أنت ودادي معنا؟ وماذا سيحدث للجرو؟

- سيبقى الجرو هنا مع كاري . . ليتعلّم كيف يحسن التصرف .

كان الجرو مستمراً في التسبب بالفوضى في المنزل، فيمزق الصحف والمجلات باستمرار . . لكن شراسة الجرو وجدت طريقها إلى غرفة نوم سيرينا التي كانت تحافظ فيها على وجود رمزي، وأتلف لها الحذاء الجلدي المرتفع الساقين .

ثارت أعصابها بعدما نسيت أنها هي من أتى بهذا المجرم إلى البيت،

Scanné avec CamScanner

وطلبت بهستيرية أن يُقتل الجرو، بينما كانت تارا تبكي متوسلة له الحياة.

قال دومنيك بقلق، وهو عالق في الوسط:

ـ أوه.. يا إلهي.. أعتقد أنني مضطر لتولي أمره.

لهذا السبب، أصبح الجرو يرافق دومنيك إلى المكتب كل يوم، لكي تصبح تصرفاته أكثر مسؤولية في الحياة.

حين نزلت فوبيي وتارا إلى الطابق الأرضي كان فريق التصوير قد رحل. وكذلك سيرينا الغاضبة التي استقلت سيارة أجرة وخرجت للتسوق.

سألت تارا بحزن: «ولماذا لم تطلب مرافقتها؟».

ابتسمت فوبيي للصغيرة: «لأنها تعرف أنني سآخذك لشراء الحلوى.. أسرعي وأحضري حذاءك المرتفع الساقين».

أمضتا بعد الظهر بمرح وبهجة، ثم عادت سيرينا في الوقت الذي وصلتا فيه إلى المنزل.. وأبلغتهما كاري بتجهم، أنها ترتاح ولا تريد أن يزعجها أحد.

شغلت فوبيي نفسها قبل أن يحين وقت الغداء بتزيين الردهة وغرفة الطعام، بمساعدة تارا المتشوقة. وعلقت النباتات الدبقة في الثريا وسط الردهة.

سألت فوبيي وهي تنزل السلم: «هل هذا جيد».

قال دومنيك وهو يقف على الباب الأمامي: يبدو رائعاً..

كانت تلك النظرة المشتتة التي اعتادت فوبيي أن تراها على وجهه، قد تلاشت، وكان يبتسم لها.

رقصت تارا بإثارة:

ـ دادي.. دادي.. فوبيي تحت النباتات الدبقة.. يجب أن تعانقها، كما تقول التقاليد.

أعطى دومنيك رباط الكلب لابنته.

ـ خذي إذن.

وتقدم نحو فوبيي:

ـ آسف لهذا.. لكن القوانين هي القوانين.

أطبقت يداه على كتفيها، وجرّها إليه.. كانت رائحة عطره باردة منتعشة، لكنها أدفأت كل ذرة من روحها وهي تستقر بين ذراعيه.

شعرت بتصميمه ورضخت بإذعان سلبي لعناقه.. لا بد أن هذه هي طريقته ليقول لها وداعاً.. يا إلهي العزيز.. كيف لها أن تتحمل ذلك؟

ـ أتعانق موظفيك حبيبي..؟ يا لك من إقطاعي.

كانت سيرينا تنزل بصمت على السلم.. ترتدي روباً بلون التوت البري الناضج، وشعرها منسدل على كتفيها.. يبدو أن التسوق أنعش مزاجها. فقد كانت عيناها متسعتين، وهي ترمق فوبيي بنظرة تخلو عن الود.

ترك دومنيك فوبيي دون استعجال: «إنه تقليد كبير قديم».

سألت بعبث لعوب: «وهل يشمل ذلك الزوجات؟»

تقدمت سيرينا إلى دومنيك، بعدما تراجعت فوبيي إلى الوراء ولفت ذراعيها حول عنقه ورفعت وجهها ليقابل وجهه.

لم يكن ذلك مشهداً ترغب فوبيي في رؤيته..

فقالت: «حان وقت الغداء».

وقادت تارا بعيداً.

حلت أمسية الميلاد أخيراً.. وأوقفت فوبيي السيارة في السوق.. ستتمكن سريعاً من تعداد أيامها المتبقية في هذا المنزل على أصابع يد واحدة.

سوف يسعدها الرحيل لو أنها لم تكن قد تورّطت عاطفياً.

كانت تصرفات سيرينا، تزداد سوءاً شيئاً فشيئاً، بعد أن ضبطت فوبيي مع دومنيك.

ولم يعد لدى فوبيي أدنى شك في أنها باتت عدوة لها. وبهذا أصبحت عرضة لكل أنواع التسلط وسوء المعاملة التي يمكن لدماغ مريض أن يبتكرها.. وكانت سيرينا فنان مبتكرة مبدعة بشكل لا يصدق.

www.rewity.com

Scanné avec CamScanner

بدا وابل الإساءات الصغيرة والتحقير، والملاحظات المزدرية، كأن لا نهاية له. حتى تارا كانت هدفاً لبعض منها، كعقاب لها على الحب الواضح الذي تكنه لفويبي.

وبات الوضع كله كالجحيم.

رسمت فويبي الابتسامة على فمها وهي تدخل محل المصنوعات اليدوية.

ـ جئت لأجل بيت الدمى والأثاث التابع له.

ـ أوه.. طبعاً.. للسيد آشتون.. إنه موضب وجاهز. هل أساعدك في حمله إلى السيارة؟

ردت فويبي شاكرة:

ـ أوه.. أرجوك.

قالت المرأة:

ـ أرجو أن تعجب الهدية الفتاة الصغيرة. يا له من ميلاد رائع تمضيه.. مع أمها في المنزل..

وافقت فويبي بفتور: نعم رائع..

لمعت عينا المرأة: أتعتقدين أن الآنسة ڤان ستأتي بها إلى هنا؟ سيكون أمراً عظيماً أن نلتقي بها. لقد شاهدناها كثيراً منذ مجيئها إلى هنا.. لكنها كانت تمر من بعيد فقط.

ـ حقاً؟

ـ إنها تزور محل العطور عدة مرات في الأسبوع. في الواقع، كانت هنا هذا الصباح.

ـ هل أنت واثقة؟

ـ طبعاً.. أستطيع التعرف عليها أينما كانت.. آه أرجو أني لم أفضح أمرها بشيء ما. ربما كانت تشتري هدية لك.

أرغمت فويبي نفسها على الابتسام: لا أظن هذا.

وصعدت إلى السيارة.

حين وصلت إلى المنزل، سمعت فويبي أصواتاً مرتفعة قادمة من غرفة

الجلوس الصغيرة.. وكانت سيرينا ڤان تصيح. وتارا تبكي بصوت مرتفع.

دخلت فويبي الغرفة.. ورأت تارا جالسةً إلى البيانو ووجهها غارق بالدموع، وكانت سيرينا تقف إلى جانبها تصيح:

ـ تباً لك.. مرات ومرات.. ألا تعرفين أي لحن آخر...؟

رأت تارا فويبي فركضت إليها، ودست رأسها الصغير في حضنها وهي تصيح باكية: «إنها مفاجأتي.. كنت أتدرب على مفاجأتي.. كي أعزفها أمام الجميع غداً.. وغضبت مامي».

نظرت فويبي إلى سيرينا.. وسألتها بحدة:

ـ ماذا دهاك بحق الجحيم؟ أكان يجب أن تفسدي لها مفاجأتها؟

صرخت سيرينا وقد علا وجهها احمرار الغضب:

ـ أفسدها؟ أنا التي أفسد صباحها.. كنت أعاني من صداع فظيع منذ استيقظت. ولم أتمكن من رفع رأسي عن الوسادة.. وكل ما كنت أسمعه هو هذا اللحن الشنيع الذي كان يدفعني إلى الجنون.

قالت فويبي ببرود: «من المؤسف إذن أنك لم تبقي في ميدبورتون».

ـ عم تتحدثين؟ لم أخرج من غرفتي حتى هذه الساعة... كنت مريضة جداً.

ـ آنسة ڤان.. لقد شاهدك بعض الناس في محل قريب منهم.

صاحت سيرينا بقسوة:

ـ أيتها السافلة الكاذبة.. أقول لك إنني لم أغادر المنزل.

ـ وهذا ما يجعلك أنت الكاذبة آنسة ڤان.. وليس أنا.. لكنك لست كاذبة فقط.. بل قاسية لا قلب لك..

ـ ماذا قلت؟

قفزت إلى الأمام تصفع فويبي على خدها بقوة.

صرخت تارا واحتجت بفزع: لا.. لا تؤذي فويبي.. مامي أرجوك.

ـ وأنت اخرسي أيضاً.

رفعت فويبي يدها إلى خدها الملتهب.

Scanné avec CamScanner

- ماذا يجري هنا؟

ظهر دومنيك بالباب وهو يخلع معطفه.

قالت تارا مذعورة: فويبي ومامي تشاجرتا.. ومامي ضربتها.

ركضت فويبي إلى جانب تارا هامسة:

- حبيبتي.. لم أتأذ.. أنا بخير.. حقاً.

استدار دومنيك إلى سيرينا وقد رفع حاجبيه.

- هل هذا صحيح؟

قالت سيرينا:

- كانت فظة وتصرّفت بشكل وقح وغير لائق. أعتقد أن اهتمامك السابق بها، قد غرها.. على أي حال، لن تبقى في هذا المنزل لحظة واحدة بعد الآن. تخلص منها!

وساد صمت.. لا نهاية له.. قبل أن يستدير دومنيك إلى فويبي.. ووجهه جامد كالحجر. ليسألها بصوت رسمي:

- هل لديك مكان تذهبين إليه؟

قالت وقد جف حلقها: بإمكاني الاتصال بلاين لقد عرضت عائلتها استضافتي منذ زمن.. وقد تكون الدعوة لا تزال مفتوحة.

- أرجوك إذن أن تتصلي بها.. ثم وضبي حقائبك، سأوصلك إلى ويستكومب.

هرعت فويبي من الغرفة لا تلوي على شيء...

وبالرغم من فضولها، وافقت لاين دون تردد. لذا لم يبق أمام فويبي سوى أن توضب ثيابها.

كان دومنيك ينتظرها في الردهة حين نزلت.

سألته بصوت مرتجف:

- هل تسمح لي أن أودع تارا؟

- من الأفضل أن لا تفعلي.. لقد مرت اليوم بما يكفي من اضطرابات عاطفية.

قالت وهما يدخلان ويستكومب بعد رحلة صامتة:

- قبل أن أنسى.. منزل الدمى في السيارة.

- شكراً لك.

أرشدته إلى منزل لاين، وتوقف خارجه.

قالت عبر شفتين باردتين:

- حسن جداً.. وداعاً. أنا آسفة لانتهاء كل هذا بهذه الطريقة.

- وأنا كذلك.. لا تعرفين مدى أسفي.. لكن ما من طريقة أخرى.

شدها إلى ذراعيه وعانقها بشدة آلمتها.. ثم مال نحوها يفك لها حزام الأمان ويفتح الباب.

- يجب أن أعود.

وقفت فويبي على الرصيف، تراقب الرانج روفر يختفي.. وانفتح الباب خلفها وظهرت لاين وأمها، وهما تلوحان لها باهتياج.

ردت فويبي الابتسامة، وتحركت كإنسان آلي.

لم تكن قادرة على إظهار مشاعرها.. فأخبرتهم ببساطة أنها تشاجرت مع سيرينا ثان، وتم طردها، وجعلت الأمر يبدو مزاحاً.

ويبدو أنها لم تكن الوحيدة.. فالسيدة بريستون كان قد نفد صبرها مع ديبي أيضاً.. وأصبحت وظيفة فويبي القديمة متوفرة لها في المقهى.

لم تكن تلك هي الوظيفة المثالية، لكنها أفضل من لا شيء..

ساعدت فويبي السيدة مليتشر في صنع الفطائر باللحم، وتابعت فيلماً على التلفزيون، دون أن ترى مشهداً واحداً منه. ثم رافقت الجميع إلى الفراش عند منتصف الليل.

حين غنى الأولاد «واي أن مانجر».. وجدت الدموع تتدفق دون سيطرة على وجهها لا إرادياً.

أحنت رأسها تصلي لكي تتمتع الصغيرة تارا بميلاد سعيد ويجد دومنيك سعادته مع المرأة التي يحبها.

قالت لاين في الصباح التالي:

Scanné avec CamScanner

ـ سنأخذ الهدايا إلى منزل جديّ . . ولكننا لن نتأخر بالعودة . هل أنت بخير؟

أدارت التلفزيون . . لكن كل البرامج كانت تدور عن جمع شمل الأحبة من مسافات بعيدة، فلم تحتمل هذا.

وضعت شريطاً لموسيقى الميلاد، وجلست تقرأ كتاباً اشترته لاين لها.

بعد برهة، جعلها صوت مفتاح في الباب الأمامي تقفز من مكانها.

فقالت: «لقد عدتم سريعاً . . ».

لكن القادم لم يكن لاين أو أهلها . . بل دومنيك.

بدا شاحباً، متعباً، وقد ظهرت ظلال داكناء تحت عينيه . . لكن ابتسامته لامست شغاف قلبها . . مد لها ذراعيه بصمتٍ . . فركضت إليه . . تكاد تتعثر.

رفعها بين يديه، يعانقها بحبٍ وشوق، فاستجابت له بحماسة مماثلة . . . ثم تذكرت، فدفعته عنها.

وقالت بصوت مرتجف: «يجب ألا تفعل هذا. هذا غير لائق . ».

أنزلها بلطف إلى الأرض: «لكنه يبدو لائقاً لي . . يا حبي . ».

همست: «أرجوك . . لا تقل هذا . . أوليست الأمور سيئة بما يكفي؟».

ـ أرى أنها تتحسن مع مرور الدقائق.

ـ ألهذا أبعدتني؟ لتخبرني عن سيرينا . . لكي أكون لعبة جانبية . . ؟ حسن جداً . . لن أكون كذلك. مهما بلغ مدى حبّي لك . . لن أعيش هكذا.

قال دومنيك: «أردتك بالتأكيد بعيدة عن سرينا، لكن لحمايتك فقط . . فقد كانت في مزاج شرسٍ خطير . . وقد ضربتك. لم أستطع أن أخاطر بما قد تفعله تالياً. لذا أبعدتكِ عن المنزل . . يبدو أنها رأت فيك عدوتها، وفكرت أنني قد أكون أسهل مراساً إن لم تكوني موجودة».

ـ أسهل مراساً؟ لكنكما ستتزوجان من جديد.

ـ لا . . لن نفعل تحت أي ظرف كان. ما كنت قطّ لأسمح لسيرينا بالدخول إلى حياتي مجدداً.

ـ لكنكما كنتما تمضيان اللّيل معاً.

ـ أبداً . . أعترف أنها أعلمتني بأنها مستعدة لذلك، لكنني لم أكن مستعداً . . أتظنين حقاً أنني قد أضع يدي عليها مرة أخرى.

ـ دومنيك . . لقد رأيتها تدخل غرفتك أول ليلة.

رفع حاجبيه: «حقاً؟ يا لخيبة أملها! لأنني لم أكن هناك. لقد خرجت بنزهة طويلة في السيارة . . ثم جلست على تلة أراقب طلوع الفجر . . وفكرت كثيراً . . ولم تكن في الغرفة حين عدت إليها . . بكل تأكيد».

راحت تتذكر كلمات هايز سنكلير المريرة:

ـ لكن . . لا بد أنّك تكنّ بعض المشاعر لها.

قال ببطء: «إنها والدة تارا . . لكنّ ما أشعر به نحوها هو الشفقة، لأنها أفسدت كل حياتها. لكن هذا لا يعني أن أدعها تفسد حياتي أنا».

ـ لماذا سمحت لها بالعودة إذن؟

ـ لأعرف ما الذي تريده . . كنت أعرف أن الاستديو الذي تعمل فيه قد طردها، لأن هناك من كان يراقبها لي. وعرفت كذلك أنها انفصلت عن براين ستراينون. وكان هو السبب في تمكني من الحصول على حق الوصاية على تارا . . وكنت أعرف أنه مدمن على المخدرات . . وشككت في أن تكون سيرينا قد اكتسبت منه هذه العادة . . فهدّدتها بأن أشهّر بهما في المحكمة، فوافقت.

ـ لكن لماذا؟

قال بصوت متجهم: «لأنها لم تكن لتتحمل الفضيحة . . كان ابن صاحب الاستديو قد مات بسبب الإدمان، فراح يحارب المخدرات بعنف. وأملت أن يعيدها ذلك إلى رشدها، لكنني سرعان ما اكتشفت أنني كنت مخطئاً».

شهقت: «أتعني أنها ما زالت مدمنة؟».

قال بنبرة واقعية: «أوه . . أجل . . كانت كل الدلائل واضحة. كنت أعرف أنها مدمنة منذ الأيام الأولى. وأن لها مموّلاً في ميدبورتون . . لكن الأمر أصبح الآن خطيراً . . ويجب أن تحصل على العلاج».

نظر إليها بحدة:

Scanné avec CamScanner

ـ هل فهمت الآن سبب ردة فعلها العنيفة ليلة أمس؟

أخذ نفساً عميقاً:

ـ كانت ليلة أمس جحيماً لا يطاق.. كنت قد اتصلت باخصائي يدير عيادة خاصة قرب لندن. وجاء على الفور ترافقه سيارة إسعاف، وأقنع سيرينا بالذهاب معه.. كانت بحالة سيئة. يبدو أن محولها خذلها.. لذا وافقت على الذهاب مع الطبيب.

قالت فويبي بصوت بألم معذب:

ـ أوه.. يا إلهي.. مسكينة تارا.

ـ كل ما تعرفه هو أن أمها مريضة.. ويجب أن تُشفى.. أظنها أحست بخطب ما.. لقد كنت نذلاً في خلاصي منك بتلك الطريقة.. لكن لم يكن لدي الخيار.. لم أستطع أن أشرح لك الوضع حتى أجبر سيرينا على الاعتراف بمشكلتها.. ولم أكن أعرف كم سيستغرق هذا من الوقت. وكنت حريصاً على التأكد من سلامتك.

قالت بلطف: «أفهم هذا.. دومنيك.. أعتقد أنني أعرف من هو الممول.. هناك محل عطورات في السوق الذي اشتريت منه منزل الدمى.. وهي معتادة على الذهاب إليه بانتظام».

تنهد:

ـ أعتقد أن علي إعلام فرقة مكافحة المخدرات المحلية. من الطبيعي أن لا تبلّغ عنه سيرينا، وإن كانت صريحة جداً في عدد من الأمور الأخرى.. فهي التي دفعت توني للمجيء إلى هنا والتجسس علي. وقد أعلمها بوجودك. إن آخر شيء كانت تريده هو أن أؤسس علاقة أخرى جديدة.

قالت بهدوء: «إذن، كانت تريد استعادتك حقاً».

ـ لا.. كانت تريد تارا. فهي لا تستطيع أخذها طالما أنَّ لي حق الوصاية.. أحد عشاقها منتج سينمائي، وهو يخطط لانتاج فيلم جديد عن قصة «أليس في بلاد العجائب» بمزيج من الشخصيات الحقيقية والصور المتحركة.. وقررت سيرينا أن تلعب تارا دور أليس.

صمت قليلاً: «لقد حطمت مستقبلها العملي.. لكنها ستتمكن من النجاة والعيش حين تجعل من تارا نجمة، ومن كسب المال الكثير عبرها.. كانت ستأخذها إلى كاليفورنيا ما إن تتأكد من تعاوني معها، إما بزواج أو بدونه».

هز رأسه: «أتعرفين؟ كادت تخدعني! في مرحلة ما، كنتُ قد بدأت أظنّ فعلاً أنها عادت لأجل تارا فقط.. لأنها تحبها وتريد أن تكون بجانبها. وكرهت نفسي، لأني لم أكن أرغب بحدوث هذا».

ـ لماذا؟

نظر إليها بعينين رماديتين حنونتين:

ـ لأني كنت قد وقعت في حبك وعرفت أن سيرينا لن تتحمل المنافسة.. وإن كانت على رجل لا تريده. خفت من أن تكشف مشاعري، لذا ابتعدت عنك. ولو أن هذا آلمني بعد ذلك المساء الذي أمضيناه معاً. ثم جعلتني تارا أعانقك.. وعرفت سيرينا بهذا... ومنذ تلك اللحظة كانت كقنبلة موقوتة لم تنفجر بعد.

ـ وهل ذهبت حقاً.. إلى تلك العيادة؟

ـ لم يكن لديها خيار آخر.. إن شفيت، فستستعيد حياتها.. وستتمكّن من رؤية تارا.. لكن تارا ستعيش معنا..

صمت قليلاً: «هل ترين أني أصادر رأيك وأعتبر موافقتك أمراً مسلّماً به؟ جئت إلى هنا لأطلب منك الزواج بي.. لكنك قد لا ترغبين بهذا.. ولا أستطيع لومك، فقد جعلتك تعيشين أوقاتاً كالجحيم منذ أن التقيتك أوّل مرّة».

رفعت فويبي نفسها وعانقته.. ثم همست:

ـ إذن، يجب أن أنتقم منك.. سأقودك أنا إلى الرقص في الجحيم.. بعد أن نتزوج.

تلفظ باسمها بصوت متكسر، وعانقها بشدة، وكأنه لا يريد أن يتركها.. ثم أخذا يضحكان معاً ويبكيان، وكانت هذه معجزة الميلاد الخاصة

Scanné avec CamScanner

بها.

وقال: «فلتذهب إلى البيت. هدينك لا تزال تحت الشجرة. وهناك فتاة صغيرة متشوقة، لا تستطيع الانتظار لتراك.. وكلب لعين أيضاً».

سألته فوبي: «وكيف دخلت إلى هنا على أي حال؟».

ـ التقيتُ بلاين وأهلها عند الزاوية.. وألقت علي لاين محاضرة قاسية. وأعطتني المفتاح..

ترددت فوبي: دومنيك.. هل سيكون كل شيء على ما يرام.. بالنسبة إلى تارا؟ إنها تريد.. أنت وسيرينا..

قال: «لن يكون كل شيء إبحاراً سهلاً.. من الجنون أن نظنَّ العكس.. لكنها طلبت مني أن أسألكِ إن كنت توافقين على أن تكون هي وصيفة العروس. لذا أعتقد أننا حصلنا على موافقتها.. وجعلتني أحضر لك هذا».

أخرج علبة صغيرة من جيبه.. وشهقت فوبي حين رأت حجر الزمرد الرائع يحيط به الألماس.

ـ أوه.. دومنيك.. إنه.. إنه جميل..

ـ أرأيت؟ كنت مستعداً للجوء إلى الرشوة كي أحصل عليك.

وضع الخاتم في إصبعها وقبل يدها.

لفت ذراعيها حوله.. تغمره بحبها.

ـ لست بحاجة لرشوة.

لأن حاجتها إليه تماثل حاجته إليها.

ابتسمت لعينيه.

ـ لدي سبب أبعد بكثير من هذا لأتزوجك.

أراح خده على شعرها:

ـ وما هو؟

ـ ألا تعرف؟ أنا أفعل هذا لأجل تارا.

***

LOVE_Shades

Scanné avec CamScanner